

دُرُوسٌ

مِنْ

الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ



بِمَجْمَعِ دَرَرِيْبٍ

مِنْ خُطْبٍ وَمُحَاضِرَاتٍ فِضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الرَّسْلَانِ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

تَأْيِيدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْبِيَاءَهُ بِالْمُعْجَزَاتِ

فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَمَتَّعَهُ بِنِعْمَةِ الْعَقْلِ وَالْبَيَانِ، وَلَمْ يَجْعَلْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَقْلَ طَلِيقًا فِي مَجَالَاتٍ يَرْتَادُهَا بِغَيْرِ حُدُودٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ لِلْعَقْلِ حُدُودًا يَنْتَهِي عِنْدَهَا وَنَهَايَاتٍ يَتَوَقَّفُ لَدَيْهَا.

وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُسَدِّدَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَنْبِيَاءَ فِيمَا آتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِيَّاهُ مِنَ الْوَحْيِ الْمُبِينِ؛ جَعَلَهُمْ آتِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي يُجْرِيهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى أَيْدِيهِمْ، مِمَّا يَجْعَلُ الْعَقْلَ الْمُسْتَقِيمَ لَدَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ يُقَرُّ وَيُدْعَنُ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالْمُعْجَزَةُ: أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ مَقْرُونٌ بِالتَّحْدِي صِرَاحَةً أَوْ ضِمْنًا، يُجْرِيهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدَيْ مُدْعٍ لِلنَّبُوَّةِ؛ تَصَدِيقًا لَهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ دَعْوَى الرِّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالتَّيْيِيدُ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِصَادِقٍ؛ لِأَنَّ تَأْيِيدَ الْكَاذِبِ تَصَدِيقٌ لَهُ، وَتَصَدِيقُ الْكَاذِبِ كَذِبٌ، وَالْكَذِبُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَإِذَا أَظْهَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمْرًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ عَلَى يَدَيْ مُدْعٍ لِلنَّبُوَّةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقُومُ فِي مَقَامِ قَوْلِ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ أَسْمَعْنَا: صَدَقَ عَبْدِي فِيمَا يُبَلِّغُنِي.

وَالْمُعْجِزَةُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الرَّسُولُ أَوْ النَّبِيُّ مِنْ عِنْدِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى تَفَارِقُ
 الْمُخْتَرَعَاتِ الْحَدِيثَةَ الَّتِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا النَّاسُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ لِأَنَّ هَذِهِ
 الْمُخْتَرَعَاتِ مِمَّا يَخْضَعُ لِقَانُونٍ يَعْرِفُهُ الْعَقْلُ وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ، وَلِأَنَّنا لَمْ نَرِ رَجُلًا
 اخْتَرَعَ جِهَازًا، ثُمَّ قَامَ يَتَحَدَّى بِهِ الْعَالَمَ، وَيَدَّعِي النُّبُوَّةَ بِسَبَبِ مَا أَتَى بِهِ مِنْ هَذَا
 الْإِخْتِرَاعِ الْعَجِيبِ، وَلَوْ فَعَلَ؛ لَقَامَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُعَارِضُونَهُ
 بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ وَأَعْلَى مِنْهُ وَأَجَلَّ.

وَأَمَّا الْمُعْجِزَةُ فَلَيْسَ لَهَا قَانُونٌ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهَا نَهْجٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا
 تَأْيِيدٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَاحِبِ الْقُوَى وَالْقُدْرِ الَّذِي هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَالْمُعْجِزَةُ تَخْتَلِفُ أَيْضًا عَنِ السِّحْرِ؛ لِأَنَّ السِّحْرَ وَإِنْ كَانَ يَأْتِي فِي ظَاهِرِ
 الْأَمْرِ بِدُرُوبٍ لَا يَتَخَيَّلُهَا الْعَقْلُ، فَإِنَّهُ يَخْضَعُ فِي النَّهَائِيَةِ لِقَوَاعِدِ وَأُصُولٍ يَعْرِفُهَا
 السَّاحِرُ، وَيَسِيرُ عَلَيْهَا، وَيَخْضَعُ لَهَا، وَيَذَلُّ عِنْدَهَا، وَلَيْسَتْ الْمُعْجِزَةُ كَذَلِكَ.

وَالْمُعْجِزَةُ الَّتِي يُؤَيِّدُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ تَخْتَلِفُ عَنِ الْكِرَامَةِ الَّتِي
 يُكْرِمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا أَوْلِياءَهُ؛ لِأَنَّ الْكِرَامَةَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ يُجْرِيهِ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ عَلَى يَدَيِ رَجُلٍ صَالِحٍ لَا يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَأَمَّا الْمُعْجِزَةُ فَفِيهَا ادِّعَاءُ
 النُّبُوَّةِ، وَفِيهَا تَصْدِيقُ الْمُعْجِزَةِ بِوَحْيِ الرِّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَمَّا الْكِرَامَةُ: فَتَجْرِي عَلَى يَدَيِ رَجُلٍ صَالِحٍ يَنْتَسِبُ إِلَى نَبِيٍِّّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ،
 تَكُونُ زِيَادَةً فِي شَرَفِ النَّبِيِّ الْمَتَّبِعِ.

فَأَمَّا إِذَا جَرَى الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ عَلَى يَدَيِ الرَّجُلِ الطَّالِحِ؛ فَهَذِهِ هِيَ
 الشُّعُودَةُ، وَهَذَا هُوَ الدَّجَلُ، وَهَذَا هُوَ التَّمْوِيهُ.

وَقَدْ آيَدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِدُرُوبٍ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالآيَاتِ الْقَاهِرَاتِ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ ﷺ جَمَعَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَهُ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قَبْلَهُ، كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- فِيَمَا يَرُويهِ عَنْهُ السَّيِّدُ الْقَائِمُ ﷺ (١)، قَالَ: «مَا أَتَى اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَبِيًّا قَطُّ مِنْ آيَةٍ وَلَا مُعْجِزَةٍ إِلَّا أَعْطَى مُحَمَّدًا ﷺ مِثْلَهَا أَوْ أَعْظَمَ مِنْهَا وَأَجَلَ».

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَجْرَى عَلَى يَدَيْ الْمَسِيحِ ﷺ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، فَأَيْنَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ الْإِمَامُ -عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ-: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَعْطَى مُحَمَّدًا ﷺ أَجَلَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْظَمَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْجِدْعَ -وَهُوَ خَشَبَةٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا- تَحِنُّ إِلَيْهِ، وَتَتَنُّ لِفِرَاقِهِ بِمَا كَانَ يُتَلَى عِنْدَ هَذَا الْجِدْعِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالذِّكْرِ (٢)، فَهَذَا أَعْظَمُ مِنْ رَدِّ الْحَيَاةِ عَلَى مَيِّتٍ كَانَ حَيًّا قَبْلُ.

(١) «مناقب الشافعي»: ٤٢٦/١، عن عمرو بن سواد السرحي، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي، يقول: «ما أعطى الله تعالى نبيا قط شيئا إلا وقد أعطى محمدا ﷺ أكثر»، فقلت له: قد أعطى الله عيسى ﷺ أكثر منه: أن يحيي الموتى. قال الشافعي: «فالجذع الذي كان يخطب إلى جنبه قبل أن يجعل له المنبر حين حنَّ إلى النبي ﷺ؟»، يعني: فهو أكثر من ذلك.

(٢) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٦/٦٠١، رقم (٣٥٨٣)، من حديث: ابنِ عُمَرَ ﷺ. وفيه أيضا: ٤/٣١٩، رقم (٢٠٩٥)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي

وَأِنْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ فَلَكَ الْبَحْرَ لِمُوسَى.

قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ فَلَكَ الْقَمَرَ وَشَقَّهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ (١)، وَالْقَمَرَ بِأَنْشِقَاقِهِ آيَةً سَمَاوِيَّةً، وَالْبَحْرَ بِأَنْفِلَاقِهِ آيَةً أَرْضِيَّةً، وَالْآيَةَ السَّمَاوِيَّةَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنَ الْآيَةِ الْأَرْضِيَّةِ.

غُلَامًا نَجَارًا؟، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَبْنُ أَنْبَنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذُّكْرِ».

وفي رواية له: ٦٠١/٦ و ٦٠٢، رقم (٣٥٨٤): «...، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ...»، وفي رواية له أيضا ٦٠٢/٦، رقم (٣٥٨٥): «...، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِدْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَتَتْ».

والحديث روي أيضا عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَعَائِشَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنهن، بنحوه.

(١) قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وأخرج البخاري في

«الصحیح»: ١٨٢/٧، رقم (٣٨٦٨) واللفظ له، ومسلم في «الصحیح»: ٢١٥٩/٤،

رقم (٢٨٠٢)، من حديث أنس رضي الله عنه، قال: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا».

والحديث في «الصحیحین» أيضا من حديث ابن عباس، ومن حديث: ابن مسعود

رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَمِنَى إِذَا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ، فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ

الْجَبَلِ، وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُوا».

والحديث روي عن ابن عمر وجبير بن مطعم رضي الله عنهما بنحوه.

وَإِنْ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ أَجْرَى عَلَى يَدَيْ مُوسَى عليه السلام أَنَّهُ يَضْرِبُ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ؛ فَتَنْبَجِسُ مِنْهُ أَعْيُنُ الْمِيَاهِ.

قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ مِنْ يَدَيْ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَالْمَاءِ الْعَذْبَ النَّمِيرَ بِلَا حَدٍّ وَلَا حُدُودٍ^(١)، وَإِخْرَاجَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ هَذَا هُوَ الْمَعْهُودُ.

وَأَمَّا إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ، مِنَ الْجَارِحَةِ الَّتِي هِيَ الْيَدُ؛ فَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُعْهَدُ، وَأَجْرَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدَيْ مُحَمَّدٍ عليه السلام آيَةً بَيْنَهُ وَمُعْجِزَةً قَاهِرَةً.

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٢٧١/١، رقم (١٦٩)، ومسلم في «الصحیح»: ١٧٨٣/٤، رقم (٢٢٧٩)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام، وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، قَالَ: «فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ».

وفي «صحیح البخاري»: ٥٨٧/٦، رقم (٣٥٧٩)، من حديث ابن مسعود رضي عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ»، فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَاتِ مِنَ اللَّهِ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ.

وروي حديث: «نَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ عليه السلام» أيضا عن ابن عباسٍ والبراء بن عازبٍ وأبي لیلی الأنصاري رضي عنه.

وَأَنَّ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ سَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام الرِّيحَ عُذُوها شَهْرٌ
وَرَوَّاحها شَهْرٌ.

قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ عَرَجَ بِمُحَمَّدٍ عليه السلام بَعْدَمَا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، إِلَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامٍ
يَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ (١).

يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- فِي «مُقَدِّمَةِ شَرْحِهِ عَلَى صَحِيحِ
مُسْلِمٍ» (٢): «إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَعْطَى مُحَمَّدًا عليه السلام مِنَ الْمُعْجَزَاتِ مَائَتِينَ وَأَلْفًا».
أَلْفٌ وَمَائَتَانِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ أَوْتِيهَا وَأَعْطَاهَا مُحَمَّدٌ عليه السلام.

وَتَنَوَّعَتْ مُعْجَزَاتُ الرَّسُولِ عليه السلام، فَشَمَلَتْ الْمُعْجَزَاتِ الْحِسِّيَّةَ الَّتِي يَرَاهَا
مَنْ يَعَاصِرُ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ عليه السلام، وَيَشْهَدُهَا بِعَيْنِي رَأْسِهِ، فَتَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ، وَيَقَعُ بِهَا
الْإِذْعَانُ، وَتَسْتَبِينُ بِهَا الْمَحَجَّةُ، ثُمَّ يَتَوَاتَرُ النُّقْلُ بِهَا صَحِيحًا مُسْتَقْرًّا، كَأَنَّمَا نَرَاهَا
وَنُشَاهِدُهَا، يُجْرِبُهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى يَدَيْ خَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ عليه السلام.

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٤٥٩/١، رقم (٣٤٩)، ومسلم في «الصحيح»: ١٤٨/١، رقم (١٦٣)، من حديث: ابن عباس، وأبي حبة الأنصاري، قالا: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «...، ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ».
وحديث الإسراء في «الصحيحين» أيضا من حديث: أنس ومالك بن صعصعة وابن
عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وفي «صحيح مسلم» من حديث: جابر رضي الله عنه.

(٢) مقدمة شرحه على «صحيح مسلم»: ٢/١، (القاهرة: المطبعة البهية المصرية، ط ١،

ثُمَّ آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْمُعْجِزَةَ الْخَالِدَةَ الْبَاقِيَةَ «الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»؛ لِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ فِي مُطْلَقِ الزَّمَانِ وَمُطْلَقِ الْمَكَانِ، كَمَا جَاءَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ فِيمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (١): عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُيْعَتْ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً».

فَهُوَ رَسُولٌ عَامَّةٍ بِلَا حُدُودٍ وَلَا قُيُودٍ وَلَا سُدُودٍ، فِي مُطْلَقِ الزَّمَانِ وَمُطْلَقِ الْمَكَانِ، فَنَاسَبَ ذَلِكَ أَنْ تَظَلَّ مُعْجِزَتُهُ قَائِمَةً لِلْعِيَانِ، يَشْهَدُهَا مَنْ مَتَّعَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَةِ الْبَصِيرَةِ، وَيُقْبَلُ عَلَيْهَا مَنْ مَتَّعَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَةِ الْعَقْلِ، وَمَا تَرَأَى بَاقِيَةً حَتَّى يَرْفَعَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مِنَ الصُّدُورِ وَمِنَ السُّطُورِ. (*).



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ١/ ٤٣٥ و ٤٣٦، رقم (٣٣٥)، واللفظ له، ومسلم في

«الصحیح»: ١/ ٣٧٠، رقم (٥٢١)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولفظ مسلم: «...، وَبُيْعَتْ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ...»، وفي رواية للبخاري أيضا:

١/ ٥٣٣، رقم (٤٣٨): «...، وَبُيْعَتْ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً...».

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الرَّدُّ عَلَى شُبُهَاتِ الْإِسْرَاءِ» - ٥/ ١١/ ١٩٩٩ م.

حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ (١)

وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلْمِ وَفَرَضَ الْخُمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَمَ (٢)

وَكَانَ الْإِسْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَالْمِعْرَاجُ مِنَ
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ﷻ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذِكْرِ الْإِسْرَاءِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ١]. (*)

تَزَرَّهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَزْرِيهَا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَكَمَالِ
صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَكَمَالِ أَعْمَالِهِ وَنَصْرُفَاتِهِ.

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول» لحافظ بن أحمد الحكمي: ٣/ ١٠٥٨-١٠٦٦،

(الدمام: دار ابن القيم، ط ٣، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م)، بتصرف يسير واختصار.

(٢) البيتان للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧ هـ) من منظومته: «سلم

الوصول» مع الشرح: ٣/ ١٠٥٨، البيت رقم (٢٤٣ و ٢٤٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَيَّ: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاصِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ

وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣ هـ/ ٤-٢-٢٠١٢ م.

فَهُوَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْكَامِلِ فِي عِبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ فِي جُزْءٍ قَلِيلٍ
مِنَ اللَّيْلِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا، مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ
عَلَيْهِ مَكَانَهُ آمِنًا مَمْنُوعًا بِالْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ وَالْأَمْرِ التَّكْلِيفِيِّ، إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَبْعَدِ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي جَعَلْنَا فِيهِ وَحَوْلَهُ بَرَكَاتٍ مَادِيَّةً مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ،
وَمَعْنَوِيَّةً مِنْ عَطَاءِ اتِّنَا، وَجَعَلْنَاهُ مَقَرَّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ. (*)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذِكْرِ الْمِعْرَاجِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى
مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾﴾ [النَّجْم: ١٣-١٨]. (٢/*)

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «بَابُ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، وَقَوْلِ اللَّهِ
تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾
[الْإِسْرَاءِ: ١]:»

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ^(١): عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الْإِسْرَاءِ: ١].

(*) (٢/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مِعْرَاجُ الْقَبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ١٩٦/٧، رَقْم (٣٨٨٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»:

١٥٦/١، رَقْم (١٧٠).

الْحَجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ - أَيْضًا - مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ^(١): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ».

قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -^(٢): «بَابُ: الْمِعْرَاجُ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهما أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلوات الله عليه وآله حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ، قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحَجْرِ، مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدْ - قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - وَهُمَا بِمَعْنَى: الْقَدُّ وَالشَّقُّ لِلثَّوْبِ، وَكَذَلِكَ لِمَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ وَاحِدٌ -، مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ».

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ١/١٤٥، رقم (١٦٢).

(٢) «صحيح البخاري»: ٧/٢٠١ و ٢٠٢، رقم (٣٨٨٧)، وأخرجه أيضا: مسلم في «الصحيح»: ١/١٤٩-١٥١، رقم (١٦٤)، من طرق: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهما: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلوات الله عليه وآله حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ،...» الْحَدِيثُ.

فَقُلْتُ^(١) لِلْجَارُودِ^(٢) وَهُوَ إِلَيَّ جَنَبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟
قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ^(٣) إِلَى شِعْرَتِهِ^(٤).

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصْبِهِ^(٥) إِلَى شِعْرَتِهِ، «فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيْتُ بِطَسْتٍ
مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُسِّي، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ
الْبُغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَيْضًا».

فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمَزَةَ؟

فَقَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، «يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ،
فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ:

(١) القائل هو: راوي الحديث؛ الحافظ: قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي البصري،
ثقة ثبت، مات سنة بضع عشرة ومائة.

انظر ترجمته: «تهذيب الكمال»: ٢٣ / ٤٩٨، ترجمة (٤٨٤٨)، و«تهذيب التهذيب»:

٨ / ٣٥١، ترجمة (٦٣٧)، و«تقريب التهذيب»: ص ٢٤٣، ترجمة (٥٥١٨).

(٢) (الجارود) بضم الراء، هو: ابن أبي سبرة، بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة،
الهدليّ التابعيّ الثقة، صاحب أنس، مات سنة عشرين ومائة.

انظر: شرح الكرمانى على «صحيح البخاري»: ١٥ / ٩٩، و«فتح الباري»: ٧ / ٢٠٤.

(٣) (الثغرة) بضم المثناة وسكون المعجمة: نُقْرَةُ النحر التي بين الترقوتين.

انظر: «الصحيح»: باب الراء، فصل الثاء مع الغين، ٢ / ٦٠٥.

(٤) (الشعرة) بالكسر: مَنبُتُ الشَّعْرِ مِنَ الْعَانَةِ.

انظر: «النهاية في غريب الحديث»: ٢ / ٤٨٠، و«لسان العرب»: ٤ / ٤١١، مادة: شَعَرَ.

(٥) (القص) بفتح القاف وشدة المهملة: وسط الصدر.

انظر: «النهاية»: ٤ / ٧١، مادة: قَصَصَ.

جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ؛ فَإِذَا يُوسُفُ قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ. قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَّى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرَحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ قَالَ: مَرَحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ، فَإِذَا نَبْقَهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ. قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُتَهَيِّ، وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ.

ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ^(١)، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ، أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَيَّ مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَيَّ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَيَّ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَيَّ مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَيَّ مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟

قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ؛ فَارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

(١) زَادَ الْكُشْمِينِيُّ فِي رَوَايَتِهِ لِلصَّحِيحِ: «يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»، انظر: «فتح

قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأَسْلَمُ. قَالَ: فَلَمَّا تَجَاوَزْتَ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُخْتَصَرًا.

وَلِمُسْلِمٍ^(١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامه عليه: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا؛ لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بَلِيلًا، وَالنَّبِيُّ صلوات الله وسلامه عليه لَمْ يَكُنْ بِحَيْثُ يَدُورُ فِي أَرْجَاءِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِيَعْرِفَ مَعَالِمَهُ.

ثُمَّ هُنَالِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ وَالسَّقُوفِ وَمَا أَشْبَهَ، بَلْ إِنْ النَّبِيُّ صلوات الله وسلامه عليه لَمَّا صَلَّى إِمَامًا لِلْأَنْبِيَاءِ فِيهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -؛ عُرِجَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثُمَّ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرْبْتُ كُرْبَةً مَا كُرْبْتُ مِثْلَهَا قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ: مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ». الْحَدِيثُ (*).



(١) «صحيح مسلم»: ١/١٥٦، رقم (١٧٢).

(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

دُرُوسٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

إِنَّ مُعْجَزَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَجْلِ الْمُعْجَزَاتِ وَأَعْظَمِ الْآيَاتِ الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، وَهَذِهِ بَعْضُ الدُّرُوسِ الْعَظِيمَةِ وَالْعَبْرِ الْجَلِيلَةِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ.

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: أَنَّ أَشْرَفَ مَقَامٍ وَأَعْلَاهُ مَقَامُ الْعُبُودِيَّةِ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَصَفَهُ رَبُّهُ بِالْعُبُودِيَّةِ - بِالْوَصْفِ الشَّرِيفِ - فِي أَعْظَمِ الْمَقَامَاتِ.

فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّهُ، لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]؛ أَي جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، يُرِيدُونَ إِيْصَالَ الضَّرِّ إِلَيْهِ، وَإِيقَاعَ الْمَكْرُوهِ عَلَيْهِ، وَهَيْهَاتَ.

﴿وَأَنَّهُ، لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: فَوَصَفَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ بِهَذَا الْوَصْفِ الشَّرِيفِ.

بَلْ فِي مَقَامِ الْكِفَايَةِ وَالْحِفْظِ، ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ:
 ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]؟

بَلَى كَافٍ.

وَتَكُونُ الْكِفَايَةُ عَلَى قَدْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَمَنْ جَاءَ بِعُبُودِيَّةٍ كَامِلَةٍ فَلَهُ مِنَ الْكِفَايَةِ بِحَسَبِهَا، وَمَنْ جَاءَ بِعُبُودِيَّةٍ نَاقِصَةٍ فَبِحَسَبِ مَا جَاءَ بِهِ تَكُونُ الْكِفَايَةُ.

وَفِي مَقَامِ التَّحَدِّيِّ وَصَفَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ الشَّرِيفِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

فِي هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ - فِي مَقَامِ التَّحَدِّيِّ - وَصَفَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ.

وَفِي مَقَامِ الْإِسْرَاءِ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَتَّى كَانَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاخْتَرَقَ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ جَهَارًا وَكِنَافًا مِنْهُ إِلَيْهِ، وَكَلَّفَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّفَهُ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}.

فِي هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ وَصَفَهُ رَبُّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْوَصْفِ الشَّرِيفِ:
 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فَوَصَفَهُ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ.

وَأَمَّا هُوَ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} - فَإِنَّهُ قَدْ حَقَّقَ هَذَا الْوَصْفَ تَحْقِيقًا، وَآتَى بِهِ عَلَى وَجْهِهِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}.

النَّبِيِّ ﷺ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، حَتَّى تَشْتَقَّ قَدَمَاهُ ﷺ، فَإِذَا رُوجِعَ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!!

فَلِمَ هَذَا الْعَنَاءُ؟!!

لَيْسَ بِعَنَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ اقْتِرَابٌ مِنْ حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَهُ اللَّهُ، وَهُوَ خَيْرٌ مَنْ حَقَّقَ الْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ، فَإِذَا رُوجِعَ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» (١). (*)

الْعِبَادَةُ لِلَّهِ هِيَ الْغَايَةُ الْمَحْبُوبَةُ لَهُ، وَالْمَرْضِيَّةُ لَهُ، وَالَّتِي خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَبِهَا (٢) أُرْسِلَ جَمِيعُ الرُّسُلِ، كَمَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٥٨٤ / ٨، رقم (٤٨٣٧)، ومسلم في «الصحیح»: ٢١٧٢ / ٤، رقم (٢٨٢٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا».

والحديث في «الصحیحين» أيضا من رواية: المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ»، وفي لفظ: «حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْعُبُودِيَّةُ طَرِيقُ الْمُتَّقِينَ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٠ هـ / ٣٠ - ١ - ٢٠٠٩ م.

(٢) بِهَا: أَي: الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ مُفْتَضَى الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ^(١)، وَصَالِحٌ^(٢)، وَشُعَيْبٌ^(٣)، وَغَيْرُهُمْ لِقَوْمِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ^ط فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَجَعَلَ ذَلِكَ لِرَسُولِهِ إِلَى الْمَوْتِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وَبِذَلِكَ وَصَفَ مَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وَذَمَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَنَعَتَ صِفْوَةَ خَلْقِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

(١) هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

(٢) هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

(٣) هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وَقَالَ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا...﴾ [الآيات [الفرقان: ٦٣ - ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْمَسِيحِ - الَّذِي أَدْعِيَتْ فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ وَالنَّبُوَّةُ -: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. (*)

وَبِالْعُبُودِيَّةِ نَعَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ مَنْ اصْطَفَى مِنْ خَلْقِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧]. (* / ٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ «الصَّحِيح» (٣): «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» (٤)؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ (٥)، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ (٦)».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ شَرْحِ كِتَابِ: «الْعُبُودِيَّة» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٥٥ - ٥٩).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ كِتَابِ: «الْعُبُودِيَّة» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١١٠).
(٣) «صحيح البخاري»: ٤٧٨ / ٦، رقم (٣٤٤٥)، وفيه أيضا: ١٤٤ / ١٢، رقم (٦٨٣٠)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ».

(٤) قَالَ الْبَغَوِيُّ فِي «شرح السنة»: ٢٤٦ / ١٣، رقم (٣٦٨١): قَوْلُهُ: «لَا تُطْرُونِي» الْإِطْرَاءُ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي الْمَدْحِ وَالْكَذْبِ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّصَارَى أَفْرَطُوا فِي مَدْحِ عِيسَى وَإِطْرَائِهِ بِالْبَاطِلِ، وَجَعَلُوهُ وَلَدًا، فَمَنَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَنْ يَطْرُوهُ بِالْبَاطِلِ.

(٥) أَيُّ: لَسْتُ إِلَّا عَبْدًا، فَلَا تَعْتَقِدُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِي الْعُبُودِيَّةَ.

(٦) لِأَنِّي مَوْصُوفٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالرَّسَالَةِ، فَلَا تَقُولُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِيهِمَا مِنْ نُعُوتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

فَالدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

حَقِّقُوا الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ، وَهُوَ مَا حَقَّقَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ. (*) (٢).



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ شَرْحِ كِتَابِ: «الْعِبُودِيَّةُ» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٥٥-٥٩).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الْعِبُودِيَّةُ طَرِيقُ الْمُتَّقِينَ» - الْجُمُعَةُ ٤ مِنْ صَفَرِ ١٤٣٠ هـ / ٣٠-١-٢٠٠٩ م.

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ وَالْمِنْحَةُ بَعْدَ الْمِنْحَةِ

مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ -عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ رِحْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ ذَاتَ أَسْرَارٍ عَظِيمَةٍ؛ فَهِيَ رِحْلَةٌ فَرِيدَةٌ فِي تَارِيخِ الْإِنْسَانِيَّةِ، جَاءَتْ تَكْرِيمًا لِحَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَسْرِيَةً عَنْهُ ﷺ بَعْدَ سِنَوَاتٍ ذَاقَ خِلَالَهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ أَلْوَانًا مِنَ الْإِضْطِهَادِ وَالْأَذَى وَالتَّكْذِيبِ، وَبَعْدَ أَنْ فَقَدَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ الَّذِي كَانَ سِنْدًا لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَرَوْجَتَهُ الْعَاقِلَةَ الْحُنُونَ أَمَّنَا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي كَانَتْ حِصْنًا وَمَلَاذًا أَمِنًا يَلْجَأُ -بَعْدَ اللَّهِ- إِلَيْهِ فِي شِدَّتِهِ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ حَادِثَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِعَقَبِ مَا كَانَ مِنْ إِيْذَاءِ قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَصَاعُدِ خَطِّ الْإِيْذَاءِ إِلَى ذُرْوَتِهِ وَأَعْلَاهُ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ مَاتَ عَمُّهُ وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَكَانَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ يُدَافِعُ عَنْهُ، فَيَجِدُ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا السَّنَدَ مِنَ الْبَشْرِ فِي الْخَارِجِ -فِي خَارِجِ الْبَيْتِ-، وَلَكِنَّهُ يَجِدُ الْعَنْتَ الْعَانِتَ، فَإِذَا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَكَانَ يَجِدُ السَّكْنَ وَالرَّسُولَ ﷺ.

خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وَهَذَا مِنَ الْآيَاتِ وَمِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ شَوْصًا- نُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ -عِنْدَمَا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَرَجَعَ يَقُولُ: «زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي»، قَالَ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَنِي شَيْءٌ».

قَالَتْ: «لَا وَاللَّهِ، لَا يُصِيبُكَ شَرٌّ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَاللَّهُ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا» (١).

عِنْدَنَا دَلَالَتَانِ:

* الدَّلَالَةُ الْأُولَى: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ أَخْلَاقُهُ لَا تَصْنَعُ فِيهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا أَخْبَرَ عَنْ أَخْلَاقِهِ، جَعَلَهَا فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْ سُمُو الْأَخْلَاقِ، وَجَلَّالِهَا وَكَمَالِهَا وَبَهَائِهَا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والتَّعْيِيرُ بِ(عَلَى) وَهِيَ الْإِسْتِعْلَاءُ، فَهُوَ عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ﷺ، كَأَنَّهُ يَعْلُوهُ وَيَفُوقُهُ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﷺ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَكَمَلَهُ بِهِ، فَكَانَ فِي بَيْتِهِ - وَفِي الْبَيْتِ تَبْدُو أَخْلَاقُ الرَّجُلِ - كَانَ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْخُلُقِ، فَهَذِهِ دَلَالَةٌ.

* وَالدَّلَالَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ (٢)، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا إِذَا كَانَ مُحْسِنًا قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا؛ حَفِظَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عِنْدَ نَزُولِ الْمِلْمَاتِ.

(١) جزء من حديث بدء الوحي؛ أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٢٣/١، رقم (٣)، ومسلم في «الصحیح»: ١٣٩-١٤٢، رقم (١٦٠)، من حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرج الطبراني في «المعجم الكبير»: ٣١٢/٨، رقم (٨٠١٤)، والجصاص في «أحكام الأحكام القرآن»: ٣٥٢/٢، من حديث: أبي أمامة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوْءِ...»، الحديث.

والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: ٥٣٢/١، رقم (٨٨٩)، وله شواهد من رواية ابن مسعود وأم سلمة وأبي سعيد الخدري ومعاوية بن حيدة وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وروي مرسلًا عن أسلم القرشي وسعيد بن المسيب.

فَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، قَالَتْ: «لَا وَاللَّهِ، لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا»،
ثُمَّ ذَكَرَتْ الْعِلَّةَ: «إِنَّكَ لَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتُعِينُ
عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ».

إِذْنُ؛ مَا دُمْتَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ أَبَدًا أَنْ يُصِيبَكَ شَيْءٌ، أَوْ أَنْ
يُخْزِيكَ اللَّهُ ﷻ، أَوْ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْكَ ﷻ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا فَقَدَ خَدِيجَةَ وَفَقَدَ عَمَّهُ، وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَدَلَائِلِ
النُّبُوَّةِ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَلَهُ: أَنْ عَمَّهُ كَانَ يُنَاصِرُهُ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى كُفْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ
أَسْلَمَ وَهُوَ مُنَاصِرُهُ؛ لَرَبَّمَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّمَا انْتَصَرَ الْإِسْلَامُ بِالْعَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ عَمَّهُ قَدْ
أَسْلَمَ، فَهُوَ يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ عَصِيَّةً، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ بِعَصِيَّةِ
الرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ كُلُّ
النَّاسِ أَنَّ الَّذِي يَنْصُرُ الدِّينَ هُوَ رَبُّهُ، هُوَ الَّذِي شَرَعَهُ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَأَنَّ الَّذِي
يَنْصُرُ الدِّينَ هُوَ اللَّهُ.

فَيَقِي أَبُو طَالِبٍ عَلَى كُفْرِهِ، بَلْ يُخْرِجُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ أَعْمَامِ النَّبِيِّ
ﷺ مَنْ يُحَارِبُهُ عِنْدَمَا اسْتَعْلَنَ بِالدَّعْوَةِ، يَعْنِي لَمْ يَكُنْ فِي فُرَيْشٍ سِوَى أَبِي لَهَبٍ
لِكَيْ يَقُولَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا جَمَعَهُمْ عِنْدَ الصَّفَا وَدَعَاهُمْ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ
عَذَابٍ شَدِيدٍ».

لَمْ يَكُنْ فِي قُرَيْشٍ إِلَّا هَذَا الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ هَذَا الْيَوْمِ!! أَلِهَذَا
جَمَعْتَنَا؟! (١).. هَذَا عَمَّهُ!!

بَلْ كَانَ يُؤْذِيهِ أَبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ وَأَبْلَغَ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الدِّينَ لَمْ
يُنْصَرْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدُورُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَامِعِهِمْ
وَفِي مَوَاسِمِهِمْ وَفِي أَسْوَاقِهِمْ.

فِيَأْتِي الْعَرَبُ وَفُودًا إِلَى مَكَّةَ فِي الْمَوْسِمِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَأْتُونَ وَفُودًا إِلَى
مَكَّةَ فِي الْأَسْوَاقِ؛ فِي عُكَاظٍ، وَذِي الْمَجَنَّةِ، وَذِي الْمَجَازِ، أَسْوَاقٌ لِلْعَرَبِ كَانَتْ
مَعْلُومَةً تُعْقَدُ فِي كُلِّ عَامٍ كَمَعْرِضِ الْكِتَابِ، فَكَانُوا إِذَا جَاءُوا؛ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ
يَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، قُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا» (٢)، وَرَجُلٌ وَضِيَءٌ أَحْوَلُ

(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٥٣٩/٨، رقم (٤٨٠١)، ومسلم في «الصحیح»:

١٩٣/١ و١٩٤، رقم (٢٠٨)، من حديث: ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ
الصِّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ:
«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعُدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يَمْسِيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا:
بَلَى، قَالَ: «فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا
جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [سورة المسد].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: ٦٣/٤ و٣٤١، بإسناد صحيح، عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ الدِّيَلِيِّ
وَكَانَ جَاهِلِيًّا أَسْلَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ [وفي رواية: فِي سُوقِ ذِي
الْمَجَازِ]، يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا
يُرِيدُ أَنْ يَصُدِّكُمُ عَنِ الْهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ [وفي رواية: وَأَبُو لَهَبٍ].

لَهُ غَدِيرَتَانِ - ضَفِيرَتَانِ - يَدُورُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كَلَّمَا دَعَا قَوْمًا؛ أَقْبَلَ هُوَ عَلَى الْقَوْمِ يَقُولُ: لَا تُصَدِّقُوهُ، هُوَ ابْنُ أَخِي وَهُوَ مَجْنُونٌ!! فَيَقُولُ النَّاسُ: عَمُّهُ أَدْرَى بِهِ، بَلَاءٌ عَظِيمٌ!!

فَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا خَلَصَ إِلَيَّ أَحَدٌ بِأَذَى أَوْ بِشَيْءٍ أَكْرَهُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ» (١).

وَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَنْقَلَ الدَّعْوَةَ بِمَرْكَزِهَا - مَرْكَزِ الثَّقَلِ فِي الدَّعْوَةَ - إِلَى الطَّائِفِ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ اسْتَعْصَمَتْ - صَارَتْ حَالَتَهَا مُسْتَعْصِمَةً - يَعْنِي كَمَا يَقُولُونَ أَتَتْ بِأَخْرِ مَا عِنْدَهَا.

والحديث جود إسناده الألباني في هامش «صحيح السيرة النبوية»: ص ١٤٢ و ١٤٣، وله شاهد من رواية طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه يونس بن بكير في زوائده على «السيرة» لابن إسحاق: ص ٢٣٩، وابن هشام في «السيرة»: ١ / ٤١٦، وابن سعد في «الطبقات الكبرى»: ١ / ١٠٣، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: ١ / ١١٩٩، وعباس الدوري في «تاريخ ابن معين»: ٣ / ٤٣، رقم (١٧٤)، والخطابي في «غريب الحديث»: ١ / ١٢٩، والبيهقي في «دلائل النبوة»: ٢ / ٣٤٩، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»: ٦٦ / ٣٣٩، ترجمة (٨٦١٣)، من طرق: عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، مَرَسَلًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»، وفي رواية: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعِينَ عَنِّي حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ».

قال الخطابي: «كَاعَةٌ جَمْعُ كَاعٍ، وَهُوَ: (الْجَبَانُ)، كَمَا يُقَالُ: بَاعِعٌ وَبَاعَةٌ، وَقَائِدٌ وَقَادَةٌ، يُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ يَحُوطُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَذُبُّ عَنْهُ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَكْبِعُ وَتَجْبُنُ عَنْ أَذَاهِ».

الدَّعْوَةُ هَكَذَا وَصَلَتْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَسْدُودِ فِي مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْقَلَ مَرْكَزَ الدَّعْوَةِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، فَذَهَبَ إِلَى ثَقِيفٍ وَحَدَّثَ عَنْهُمْ مَا حَدَّثَ مِنَ الْإِيذَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَغْرَوْا بِهِ الْغِلْمَانَ وَالسُّفَهَاءَ وَالضُّعَفَاءَ يَقْدِفُونَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَالرُّسُولُ ﷺ يَبْتَعِدُ عَنْ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي مَرْمَى أَحْجَارِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ فِي عَقِبِهِ، وَبَلَغَ مِنْهُ التَّعَبُ مَبْلَغَهُ، حَتَّى مَا كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ عَلَى قَدَمَيْهِ، فَمَا وَصَلَ إِلَى ظِلِّ حَائِطِ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَكَانَ مَا كَانَ (١).

مَعَ هَذَا الْأَسَى كُلِّهِ وَمَعَ هَذَا الْعَنْتِ، وَمَعَ هَذَا الْإِيذَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالْمَوْجِدَةِ فِي الْقَلْبِ، وَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي جِوَارِ رَجُلٍ مُشْرِكٍ، وَهُوَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالُوا: خَيْرًا فَعَلَّ، لَا

(١) أخرج ابن هشام في «السيرة»: ١ / ٤١٩، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: ١ / ١٢٠٠، بإسناد صحيح، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، مرسلاً، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمئِذٍ سَادَةٌ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيلٍ وَمَسْعُودٌ وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُمَيْرٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَذَبُوهُ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَأْسُ مِنْ خَبَرِ ثَقِيفٍ، فَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَلْجَئُوهُ إِلَى حَائِطِ لُعْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ... الحديث.

والحديث أصله في «الصحيحين»، من رواية: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مختصراً.

يَدْخُلُهَا مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمْ يَدْخُلِ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا فِي جِوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ (١).

(١) أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: ١/ ١٨٠ و ١٨١، ومن طريقه: ابن الجوزي في «المنتظم»: ٣/ ١٢ و ١٣، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، مرسلاً، قال: انصرفت رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم -يعني قريشاً- وهم أخرجوك؟ فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي: «أدخل في جوارك؟» فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: تلبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت؛ فإني قد أجزت محمداً، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجزت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فأنتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدي وولده مطيفون به.

والخبر ذكره بنحوه ابن هشام في «السيرة»: ١/ ٣٨١، وابن جرير الطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: ١/ ١٢٠٣ و ١٢٠٤، وابن كثير في «البداية والنهاية»: ٤/ ٣٤٣، وعزاه للأموي في «مغازيه».

ويشهد لصحة هذا الخبر؛ ما أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٦/ ٢٤٣، رقم (٣١٣٩)، وفيه أيضاً: ٧/ ٣٢٣، رقم (٤٠٢٤)، من حديث: جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ». وزاد سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عند أبي يعلى في «المسند»: ١٣/ ٤١٢، رقم (٧٤١٦) وغيره: «وكانت له عند رسول الله ﷺ وسلم يد».

قال ابن حجر في «الفتح»: ٧/ ٣٢٤: «بين ابن شاهين أن المراد باليد المذكورة: ما وقع منه حين رجع النبي ﷺ من الطائف ودخل في جوار المطعم بن عدي».

فَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ هَذَا كُلِّهِ عِنْدَمَا أَتَى مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَالَ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ - أَيِ: الْجَبَلِيِّينَ -؛ فَعَلْتُ، جَعَلَنِي اللَّهُ ﷻ طَوْعَ أَمْرِكَ».

قَالَ: «لَا، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يُوحِّدُ اللَّهَ ﷻ» (١).

فَصَدَقَ مَنْ سَمَّاهُ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمَ ﷺ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَأْخُذْهُمْ إِلَّا بِالْحِلْمِ وَالْفَضْلِ؛ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ ﷻ.

جَاءَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فَتَحًّا بَعْدَ أَنْ وَقَعَ هَذَا، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ وَجَفَاهُ النَّاسُ مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ.

وَتَعَرَّفُ أَنْ الْحَدِيثَ الَّذِي فِيهِ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ.. ثُمَّ إِلَيَّ مِنْ تَكَلُّبِي، إِلَيَّ بَعِيدِ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَيَّ عَدُوٌّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي...» هَذَا ضَعِيفٌ (٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣١٢/٦ و ٣١٣، رقم (٣٢٣١)، ومسلم في «الصحیح»: ٣/١٤٢٠ و ١٤٢١، رقم (١٧٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة»: ١/٤١٩ و ٤٢٠، والطبري في «تاريخ الرسل والملوك»: ١/١٢٠٠ و ١٢٠١، من طريق: ابن إسحاق، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، قَالَ: ... فَذَكَرَهُ، مَرَسَلًا.

وأخرجه من طريق آخر: الطبراني في «المعجم الكبير»: ١٣/٧٣، رقم (١٨١)، وابن عدي في «الكامل»: ٧/٢٦٩، ترجمة (١٦٢٣)، من طريق: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا تُوِّفِّي أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاثِيًا عَلَيَّ قَدَمِيهِ فَدَعَا إِلَيَّ إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ... فَذَكَرَهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَسْرَى بِنَبِيِّهِ ﷺ بِعَقَبِ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ أَهْلُ
الْأَرْضِ قَدْ جَفَوْكَ يَا مُحَمَّدٌ؛ فَأَهْلُ السَّمَاءِ يَحْتَفُونَ بِكَ!!

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا بِهِ رَبُّنَا، فَهَذِهِ البُشْرِيَّاتُ يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُ فِي الدَّعْوَةِ
إِلَى اللَّهِ، الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ أَحْيَانًا يَرَى رُؤْيَا، يَحْدُثُ لَهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُعَدُّ
بِشَارَةً كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْفَأَلَ - الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ -، وَلَكِنْ كَانَ لَا
يَتَطَيَّرُ وَلَا يَتَشَاءَمُ، هُوَ يُحِبُّ الْفَأَلَ - هُوَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ،
الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ -، فَكَانَ يَهَشُّ لَهَا ﷺ (١). (*) .



والحديث ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»: ٤٨٦/٦ و ٤٨٧، رقم (٢٩٣٣).
(١) أخرج البخاري في «الصحیح»: ٢١٤/١٠، رقم (٥٧٥٦)، ومسلم في «الصحیح»: ١٧٤٦/٤، رقم (٢٢٢٤)، من حديث: أَنَسٌ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدُوِّي وَلَا
طَيْرَةٌ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» .
والحديث في «الصحیحين» أيضا من رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) بنحوه.
(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م .

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
تَعَلُّمٌ مِّنْهُجِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ

إِنَّ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ لَا يَتَنَافَى مَعَ صِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
لِنَبِيِّهِ ﷺ الْبُرَاقَ؛ لِيَكُونَ وَسِيلَةً أَنْتَقَالَهُ فِي رِحْلَتِهِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَسْرِيَ
بِنَبِيِّهِ بِدُونِ وَسِيلَةٍ، وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ يَقِينِ النَّبِيِّ ﷺ الْكَامِلِ، وَصِدْقِ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ ﷻ؛
إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ رَبَطَ الْبُرَاقَ الَّذِي سَخَّرَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لَهُ؛ تَعْلِيمًا لِلْأُمَّةِ
بِضُرُورَةِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ
أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ»، قَالَ:
«فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهَا
الْأَنْبِيَاءُ» (١). (*)

(١) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مِعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ «إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا؛ فَلْيَغْرِسَهَا» (١). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (*)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بَطَانًا» (٣).

بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:
* الْأُولَى: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* وَالثَّانِيَةُ: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى رَبِّ الْأَسْبَابِ؛ بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخَلٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدْعِي رِزْقًا، وَلَا

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢١٨١)، وَأَحْمَدُ (١٢٩٠٢) (١٢٩٨١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (١٢١٦)، وَالْبَزَّازُ (٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثِّ عَلَى التَّجَارَةِ» (٧٤)، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «الْمُعْجَمِ» (١٧٩)، وَابْنُ عَدِيِّ فِي «الْكَامِلِ» (٧٥ / ٦) (١٢٠٨)، مِنْ طَرِيقِ: هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، بِهِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيثُ ٤٧٩ ص ٢١٢٥ - ٢١٢٨).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْمُ ٢٣٤٤)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْمُ ٤١٦٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١ / رَقْمُ ٣١٠).

يَدْعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُهُ، وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ،
وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ.

وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ
لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ؛ فَهَذَا
مَوْكُولٌ إِلَى الْعَبْدِ، وَلَا يَعْوَلُ الْمَرْءُ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا
بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحْصِلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «قَضِيَّةُ الرِّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٨ هـ/

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
أُخُوَّةُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ الْعَظِيمَةِ: أُخُوَّةُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ فَالْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعًا أَصْحَابُ رِسَالَتِهِ وَاحِدَةٍ فِي الْأُصُولِ وَالْعَقَائِدِ؛ وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الشَّرَائِعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

فَهَذَا دَعْوَةٌ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعْدَ حُدُوثِ الشَّرْكِ.

وَقَالَ هُوْدٌ لِّقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وَقَالَ صَالِحٌ لِّقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ﴾.

وَقَالَ شُعَيْبٌ لِّقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ﴾.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ هِرَقْلٌ لِأَبِي سُفْيَانَ - لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ أَبُو
سُفْيَانَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ
آبَاؤُكُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(١).

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا يَزِلُّ عَلَى شَرِكِهِ بَعْدُ - لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ -، فَهَذَا كَانَ
فِي فِتْرَةِ الْمُوَادَعَةِ بَيْنَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ.

هَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ دَعْوَةَ الْمُرْسَلِينَ إِنَّمَا هِيَ: «دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحْدَهُ». (*).

(١) هذا اللفظ تفرد به البخاري في «الصحیح»: ٣٢ / ١، رقم (٧)، من حديث: ابن عباسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتمام اللفظ: «... وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ».
وفي رواية للبخاري: ١١٠ / ٦، رقم (٢٩٤٠): «يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ
شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ
بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ».

والحديث أخرجه البخاري أيضا: ٢١٤ / ٨ و ٢١٥، رقم (٤٥٥٣)، ومسلم في
«الصحیح»: ٣ / ١٣٩٣-١٣٩٦، رقم (١٧٧٣)، بلفظ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: بِمَ
يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: «يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَفَافِ»، قَالَ: إِنَّ يَكُ مَا تَقُولُ
فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ،... الحديث.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ
٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥ هـ / ١٩-٧-٢٠١٤ م.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ» (١).

وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى الَّتِي أَكْرَمَ اللَّهُ ﷻ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ: أَنْ جَمَعَ لَهُ الْأَنْبِيَاءُ
وَالْمُرْسَلِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ (٢)، وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا، كَمَا اسْتَقْبَلُوهُ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا
قَانِينَ - كَمَا مَرَّ - : «مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ» (٣). (*)

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: (٦/٤٧٧-٤٧٨)، رقم ٣٤٤٢ و ٣٤٤٣، ومسلم في
«الصحیح»: (٤/١٨٣٧، رقم ٢٣٦٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وفي رواية لهما: «الْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ».

(٢) أخرج مسلم في «الصحیح»: (١/١٥٦-١٥٧، رقم ١٧٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ
أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أَثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي
أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا
مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
التَّلِيحَةَ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرُوهُ بِنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ التَّلِيحَةَ قَائِمٌ
يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسَ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَّتْهُمْ...».

وفي رواية للنسائي في «المجتبى»: (١/٢٢١-٢٢٢، رقم ٤٥٠)، من حديث: أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: «...، ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجَمَعَ
لِي الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَّتْهُمْ...»، ولأحمد: (١/٢٥٧) من
حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ
التَفَّتْ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ...».

(٣) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّلْيِيقِ عَلَيَّ: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
عَظْمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ وَعَلْوُ مَنْزِلَتِهَا

عِبَادَ اللَّهِ! فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ وَالْأُمَّةِ الصَّلَاةَ، فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ بَدُونٍ وَاسِطَةٍ، وَكَانَ التَّكْلِيفُ بِهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ مُبَاشَرَةً مِنْهُ إِلَيْهِ. (*)

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١)، مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ مَاذَا عَهَدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟، قَالَ: عَهَدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ» - الْجُمُعَةُ: ٢٤ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٨ هـ/

٢١ / ٤ / ٢٠١٧ م.

(١) «صحيح البخاري»: ١٣ / ٤٧٨ و ٤٧٩، رقم (٧٥١٧)، و«صحيح مسلم»: ١ / ١٤٥ -

١٤٨، رقم (١٦٢).

فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ، فَقَالَ وَهُوَ مَكَانُهُ: يَا رَبِّ، خَفَّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُرِدُّهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسَ صَلَوَاتٍ.

ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا، فَضَعُفُوا، فَتَرَكُوهُ، فَأُمَّتِكَ أضعفُ أجسادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ.

كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ؛ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنْ أُمَّتِي ضَعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: إِنَّهُ لَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ.

فَرَجَعَ ﷺ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟

فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا، أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا.

قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مُوسَى، قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ.
قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ.

قَالَ: وَاسْتَيْفِظْ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ». هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

فَالصَّلَاةُ فُرِضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
لِلصَّلَاةِ، وَقَدْ خَفَّفَ اللَّهُ ﷻ عَنْ عِبَادِهِ؛ فَهِيَ خَمْسٌ فِي الْعَمَلِ وَخَمْسُونَ فِي
الْأَجْرِ، وَقَدْ فَرَضَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ
قَدْرِهَا وَرِفْعَةِ مَنْزِلَتِهَا.

وَفَرَضَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ بَغَيْرِ وَاسِطَةٍ، فَلَمْ
يُرْسَلْ بِفَرَضِيَّتِهَا جِبْرِيلَ الْكَاتِبَ وَإِنَّمَا فَرَضَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كِفَاحًا مِنْهُ إِلَى نَبِيِّهِ
ﷺ، فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ فِي دِينِ اللَّهِ وَعِنْدَ اللَّهِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «التَّعَبُّدُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الصَّلَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ رَجَبٍ

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
بَيَانُ مَكَانَةِ الْقُدْسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْإِسْلَامِ

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَحَوْلَهُ بَرَكَاتٍ مَادِيَّةً مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَمَعْنَوِيَّةً مِنْ عَطَاءَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَجَعَلَهُ ﷺ مَقَرَّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ. (*)

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾

[الأنبياء: ٨١].

وَسَخَرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ حَالَةَ كَوْنِهَا شَدِيدَةَ الْهُبُوبِ وَخَفِيفَةً بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِأَرْضِ الشَّامِ، الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ. (*) (٢).

* الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى مَسْرَى نَبِيِّنَا ﷺ:

عِبَادَ اللَّهِ! لَقَدْ كَانَ إِسْرَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ١].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الأنبياء: ٨١].

وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ وَعَجَلًا. (*)

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. (* / ٢).

إِنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى جُزْءٌ لَا يَتَجَرَّأُ مِنَ الْمَقَدَّسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ فَهُوَ ذُو مَكَانَةٍ فِي قُلُوبِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَطَ فِيهَا، أَوْ نَنْتَهَاوَنَ فِي الْحِفَاطِ عَلَيْهَا، كَمَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَغْرَسَ فِي أَبْنَانِنَا هَذَا الْمَعْنَى؛ حَتَّى لَا تَنْسَى الْأَجْيَالُ الْقَادِمَةُ مَكَانَةَ وَقُدْسِيَّةَ الْقُدْسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لَدَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مِعْرَاجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.
 (* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الإسراء: ١].

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ.. عِقَابُهُمْ وَخَطَرُهُمْ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بَرِّ جَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟» (١).

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير»: ٢/ ٢٨٩، رقم (١٥٣٥)، وأحمد في «المسند»: ٣/ ١٢٠، رقم (١٢٢١١)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» ضمن مجموع الرسائل: ٥/ ٢٩٥ و ٣١٨، رقم (٥١٣ و ٥٧٥)، وأبو يعلى في «المسند»: ٧/ ١٨٠، رقم (٤١٦٠)، وابن أبي داود في «المصاحف»: ص ٢٥٤، وابن حبان في «الصحيح» بترتيب ابن بلبان: ١/ ٢٤٩، رقم (٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٧/ ٣٨ و ٣٩، من طرق: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلامته عليه: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنَ نَارٍ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ». وفي رواية عبد الرزاق وابن أبي الدنيا، بلفظ: «هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»، وفي رواية للبيهقي، بلفظ: «خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ»، وفي رواية له أيضا بلفظ: «رَأَيْتُ أَقْوَامًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ أَوْ قَالَ: مِنْ حَدِيدٍ...».

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة»: ١/ ٥٨٥، رقم (٢٩١).

فَقَالَ: هُوَ لَأَيَّ خُطْبَاءَ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟».

هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّمْتِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا - أَيْضًا - عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه - بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ - أَنَّ جَبْرِيلَ عليه السلام قَالَ: هُوَ لَأَيَّ خُطْبَاءَ مِنْ أُمَّتِكَ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ.

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: «هُوَ لَأَيَّ خُطْبَاءَ مِنْ أُمَّتِكَ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ».

فِي مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ الْإِسْرَاءِ رَأَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم حَالَةَ عَجِيبَةً، فَاسْتَفْهَمَ عَنْهَا جَبْرِيلَ عليه السلام، فَأَخْبَرَ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا هُنَاكَ، وَوَضَّحَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي يَدْعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ؛ لِأَنَّ الَّذِي رَأَاهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ صلى الله عليه وآله وسلم أَمْرٌ مُفْظِعٌ حَقًّا!!

«أَقْوَامٌ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «بِمَقَارِيضٍ مِنْ حَدِيدٍ»، وَهُوَ لَأَيَّ الَّذِينَ يُصْنَعُ بِهِمْ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ إِلَى أَنْ يُقِيمَ اللَّهُ السَّاعَةَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعِقَابٌ شَدِيدٌ.

هُوَ لَأَيَّ لَمَّا حَلَّاهُمْ جَبْرِيلُ عليه السلام لِلْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ أَقْوَامٌ ائْتَدَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ.

وَهُوَ لَأَيَّ لَمْ يَكْتَفُوا بِالِدَّلَالَةِ الصَّامِتَةِ وَلَا بِالِدَّلَالَةِ الْهَامِسَةِ، وَإِنَّمَا هُمْ جَهِيْرُوا الصَّوْتِ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

هُؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ .. وَهُؤُلَاءِ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ صِفَاتِهِمْ:
أَنَّهُمْ يَقُولُونَ شَيْئًا وَيَفْعَلُونَ سِوَاهُ.

وَإِذَنْ؛ فَقَدْ قَعَدُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَعَلَى صِرَاطِهَا، يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ
بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَهُمْ عَنْهَا بِأَفْعَالِهِمْ!!

هُؤُلَاءِ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَأَتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ الْقُرْآنَ فَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ بِهِ، وَلَا يُعْوَلُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا
شَأْنُهُمْ أَنَّهُمْ يَنْتَصِبُونَ فِي الْأُمَّةِ بِجَهَارَةٍ صَوْتٍ، وَدَلَالَةٍ عَالِيَةِ الزَّعِيقِ عَلَى شَيْءٍ لَا
يُؤْمِنُونَ بِهِ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَا تُقْرَهُ قُلُوبُهُمْ عَلَى وَجْهِ سَوِيٍّ مُسْتَقِيمٍ.

آتَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقُرْآنَ، فَهُمْ لَا يَأْخُذُونَ بِهِ، وَصِفَاتُهُمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ
بِهَا جِبْرِيلُ وَالَّتِي اسْتَوْجَبُوا بِهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْبَرَزِخِ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِهِمْ إِلَى أَنْ
يُقِيمَ اللَّهُ السَّاعَةَ، صِفَاتُهُمْ قَدْ شَارَكُوا فِيهَا الْيَهُودَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - أَنْزَلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَوْلَهُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

فَكَانُوا - أَيِ الْيَهُودِ - يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ - أَيِ التَّوْرَةِ - فَاسْتَفْهَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اسْتِفْهَامَ تَوْبِيخٍ، وَالْغَرَضُ
الْبَلَاغِيُّ مِنْهُ التَّقْرِيرُ، يَقُولُ رَبَّنَا - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ -: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فَيَقْرُرُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَلِيَّتُهُ فَهُوَ
مِنْ غَيْرِ أَوْلِي النَّهْيِ، وَمِنْ غَيْرِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟!!

وَكَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاتِّبَاعِ التَّوْرَةِ وَمَا جَاءَ بِهَا مِنَ التَّعَالِيمِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ،
وَكَانُوا يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنْ مُوَاقَعَةِ الْفَوَاحِشِ وَفِيهَا يَقْعُونَ!!

فَهَذِهِ صِفَتُهُمُ الَّتِي وَصَفَهُمُ بِهَا رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وَمِنْ مَشَابِهِ هَؤُلَاءِ الْمَلْعُونِينَ أَقْوَامٌ فِي أُمَّةِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ -نَسَأَلُ اللَّهَ
جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَلَّا يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا صِفَاتِهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا
الْإِخْلَاصَ أَجْمَعِينَ- (*).

فَهَذِهِ الْمَرَائِي الْمُجْتَزَاةُ مِمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِ
الْكَلِمَةِ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

خُطْبَاءُ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَالَّذِينَ لَا يُجِيدُونَ إِلَّا الْإِثَارَةَ
وَالْتَهْيِيجَ!!

صَانِعُو الْفِتَنِ الَّذِينَ يَصْنَعُونَهَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ، وَالَّذِينَ يَطْبُخُونَهَا فِي مَطْبَخِ
إِبْلِيسَ، ثُمَّ يَعْرِضُونَهَا شَرَابًا سَائِغًا وَطَعَامًا مُسْتَسَاغًا لِكُلِّ مَنْ كَانَ حَامِضَ النَّفْسِ
لَا يَسْتَسِيغُ إِلَّا الْعَقْنَ -نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

كَلِمَةٌ مُنْضَبِطَةٌ بِقَانُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كِتَابًا وَسُنَّةً، إِذَا خَرَجَتْ الْكَلِمَةُ فَلَنْ
تَعُودَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «خُطْبَاءُ الْفِتْنَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ رَجَبِ ١٤٢٥ هـ / ٣-٩ -

﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. إغراقٌ مِنْ بَعْدِ إغْرَاقٍ فِي بَيَانِ هَذَا الْمُسْتَحِيلِ.

كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ فِي أَخْرَقَ لَا يَعِي مَا يَقُولُ؛ لِأَنَّ لِسَانَهُ لَيْسَ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا قَلْبُهُ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ، فَلَا يَعْرِضُ مَا يَقُولُ عَلَى قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ كَلَامُهُ كَمَا شَاءَ لَهُ هَوَاهُ، ثُمَّ لَا يُبَالِي!!

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالَّا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

«وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالَّا يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطُهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالَّا يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحیح»: ٣٠٨/١١، رقم (٦٤٧٧)، ومسلم في «الصحیح»: ٢٢٩٠/٤، رقم (٢٩٨٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». وفي رواية للبخاري: ٣٠٨/١١، رقم (٦٤٧٨): «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بِالَّا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بِالَّا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: ٥٥٩/٤، رقم (٢٣١٩)، وابن ماجه في «السنن»: ١٣١٢/٢، رقم (٣٩٦٩)، من حديث: بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ

كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِأَنَّ بِالْكَلِمَةِ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَبِالْكَلِمَةِ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدِّينِ، وَبِالْكَلِمَةِ يَسْتَوْجِبُ الْإِنْسَانُ حَدًّا فِي ظَهْرِهِ، وَبِالْكَلِمَةِ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَرَّطَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ الَّتِي تَغْضِبُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَتَغْضِبُ النَّبِيَّ الْكَرِيمَ ﷺ.

النَّاسُ لَا يَدْخُلُونَ الْإِسْلَامَ ظَاهِرًا إِلَّا بِالنُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَبِالْكَلِمَةِ - وَبِالْكَلِمَةِ وَحْدَهَا - بَدَأَ يُثْبِتُ عَقْدَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

وَبِالْكَلِمَةِ وَاحِدَةً يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدِّينِ - نَسَأَلُ اللَّهَ التَّشْيِيتَ وَالْعَافِيَةَ -.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا فَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَافِقَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبُ طَافِقَةً بِآثِمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

بِكَلِمَةٍ قَالُوهَا، قَالُوا: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَأَخْبَرَهُ رَبُّهُ وَأَوْحَى إِلَيْهِ عَنْ مَكَانِ نَاقَتِهِ إِخْبَارًا، وَلَكِنْ مَا دَامَ قَدْ وَدَعَهُ، مَا دَامَ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ بِنَبِيِّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ.

وَنَقَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا نَبَاهُمْ أَنْكَرُوا ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٧٤] - نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ -.

مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أم حبيبة»، والحديث صححه

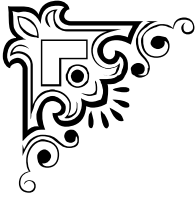
الألباني في «الصحيححة»: ٥٤٩/٢، رقم (٨٨٨).

بِالْكَلِمَةِ يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ الدِّينَ، وَبِالْكَلِمَةِ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدِّينِ،
 وَبِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ يُجَلِّدُ الْعَبْدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، إِذَا مَا تَخَطَّى حَدَّهُ، وَتَجَاوَزَ قَدْرَهُ،
 فَاعْتَدَى عَلَى عَرُضِ بِلْسَانِهِ لَا بِيَدِهِ وَلَا بِجَوَارِحِهِ، فَإِنْ سَبَّ امْرَأً وَجَبَ الْحَدُّ
 قِصَاصًا فِي ظَهْرِهِ - حَدُّ الْقَذْفِ ثَمَانُونَ جَلْدَةً -، ثُمَّ يُسَمَّى فَاسِقًا، وَلَا تُقْبَلُ لَهُ
 شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ.

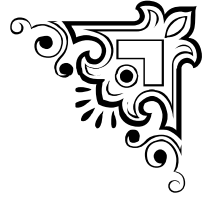
فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَدُلُّنَا عَلَى عِظَمِ خَطَرِ شَأْنِ الْكَلِمَةِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ
 الْعَظِيمِ، فَلْنَحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا؛ فَإِنَّ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ لَعِبْرًا وَأَيَّاتٍ بَيِّنَاتٍ.
 فَعَلَيْنَا أَنْ نَلْتَمِثَ لَتِلْكَ الْعِبْرِ وَلَتِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ عَسَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 أَنْ يَنْفَعَنَا بِهَا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ» - ٢٨-١١-١٩٩٧ م.



مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
أَنَّ مَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّيْسِيرِ



فَإِنَّ مَدَارَ الشَّرِيعَةِ عَلَى نَفْيِ الْحَرَجِ وَإِثْبَاتِ التَّيْسِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. (*)

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ أَحْتَبَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ مَا أَبْتَلَاكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

هُوَ اللَّهُ الَّذِي اخْتَارَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِنْ دُونِ سَائِرِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، وَحَمَلَكُمْ وَظَيْفَةَ تَبْلِيغِ الدِّينِ الْخَاتِمِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.
وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ الَّذِي تَعَبَّدَكُمْ بِهِ ضَيْقًا لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِمَّا ابْتَلَيْتُمْ بِهِ، بَلْ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، فَجَعَلَ التَّوْبَةَ فِي بَعْضِ مَخْرَجًا، وَالْكَفَّارَةَ فِي بَعْضِ مَخْرَجًا، وَالْقِصَاصَ كَذَلِكَ.

وَشَرَعَ الْيُسْرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَسَّعَ دِينَكُمْ تَوْسِعَةً مِثْلَ مَا أَبْتَلَاكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «مَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّيْسِيرِ» - ٨ / ١١ / ٢٠٠٢ م.
(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْفِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -

[الحج: ٦٣].

النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، رَاجَعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِيَسْأَلَ اللَّهَ التَّخْفِيفَ
عَنْ أُمَّتِهِ: قَالَ ﷺ: «فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى
مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أَمَرْتَ؟

قُلْتُ: أَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ.

قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ؛ وَإِنِّي جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ
وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.
قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأَسْلَمُ.

قَالَ: فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي» (١).

وفي رواية: «قَالَ اللَّهُ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمَّ
الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ وَهِيَ
خَمْسٌ عَلَيْكَ» (٢). (*)

فَمَدَارُ شَرِيعَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى نَفْيِ الْحَرَجِ وَرَفْعِهِ؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ فِي مُنْتَهَاهَا
إِنَّمَا هِيَ جَلْبُ مَنْفَعَةٍ وَدَرْءُ مَفْسَدَةٍ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ
وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَا كَلَّفَ الْإِنْسَانَ بَشْيَءٍ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ فِيهِ تَيْسِيرًا وَرَفَعَ عَنْهُ
فِيهِ الْحَرَجَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «مَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّيْسِيرِ» - ٨ / ١١ / ٢٠٠٢ م.

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهَا

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا يَقْظَةً لَا مَنَامًا^(١)، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ...»^(٢)، فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ أَوَّلِ مَا أَتِيَاهُ وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْتَمَرَ نَائِمًا.

(١) أخرج البخاري في «الصحيح»: ٢٠٢ / ٧ و ٢٠٣، رقم (٣٨٨٨)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ». وفي رواية زيادة: «...، وَلَيْسَتْ بِرُؤْيَا مَنَامٍ»، أَخْرَجَهَا الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ»: ١١٠ / ١٥، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ»: ٢٥٠ / ١١، رَقْم (١١٦٤١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وأبو مالك ومسروق وإبراهيم النخعي وقتادة وابن جريج وابن زيد والضحاك، وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري في «جامع البيان»: ١١٣ / ١٥، وقال: «وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَىٰ بِالصَّوَابِ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ، وَإِيَّاهُ عَنِ اللَّهِ ﷻ بِهَا». (٢) هو جزء من حديث الإسراء، من رواية: أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...»، وقد تقدم تخريجه.

يَعْنِي أْتْيَاهُ وَهُوَ نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظَ، فَأَخَذَاهُ، فَذَهَبَا بِهِ، فَشَقَّا مَا بَيْنَ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبُهُ، ثُمَّ جُعِلَ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ مَاءٌ مِنْ زَمْزَمَ، وَغُسِلَ جَوْفُهُ وَالرَّيْطَانِ، وَحُشِيَ حِكْمَةً وَعِلْمًا.

وَكُلُّ هَذَا مُصَدِّقٌ، وَلَا يُمَارِي فِيهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَإِنَّمَا اسْتَعْرَبَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُؤْمِنَةً إِيْمَانًا صَحِيحًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَجَلَّتْ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ طَلِيقَةٌ لَا حَدَّ لَهَا، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ وَجَلَّتْ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ؛ أَفَيُرَاجِعُ اللَّهُ وَجَلَّتْ فِي شَيْءٍ يَخْرِقُ بِهِ سِيَاحَ الزَّمَانِ وَسِيَاحَ الْمَكَانِ!!؟

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَلِذَلِكَ النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ أَنْزَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي شَأْنِ الْإِسْرَاءِ بِهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَسْرَى بِهِ: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

اللَّهُ وَجَلَّتْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَسْرَى بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا أُسْرِيَ بِهِ، فَهُوَ وَالرَّسُولُ لَمْ يَسْرِ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا أُسْرِيَ بِهِ.

مَنْ الَّذِي أَسْرَى بِهِ؟

اللَّهُ.

وَوَقَعَ نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ: مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفَظٍ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ...»، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجَهُ.

قال ابن حجر في «فتح الباري»: ٢٠٤ / ٧: «قوله: «بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»، مَحْمُولٌ عَلَى ابْتِدَاءِ الْحَالِ، ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ بِهِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبَهُ الْبُرَاقَ اسْتَمَرَّ فِي يَقْظَتِهِ...».

إِذَنْ؛ نُرْجِعُ الْمَسْأَلَةَ إِلَى اللَّهِ، فُقْدَرَةُ اللَّهِ ﷻ لَا حَدَّ لَهَا، فَمَهْمَا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ شَيْءٍ؛ فَنَحْنُ نُصَدِّقُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا نَسْتَعْرِبُهُ نَحْنُ بِعُقُولِنَا؛ هَذَا رَاجِعٌ إِلَى قُدْرَاتِنَا نَحْنُ -إِلَى قُدْرَةِ الْمَخْلُوقِ- وَقُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ عَلَى قَدْرِهِ، وَقُدْرَةُ الْخَالِقِ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، وَذَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، فُقْدَرَةُ اللَّهِ ﷻ طَلِيقَةٌ.

فَأَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثُمَّ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. فَأَتَيْتِ بِالْبُرَاقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا يَمْنَعُ أَبَدًا أَنْ يَكُونَا قَدْ أَتَيَا وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ.

فَأَسْرَى بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعُرِجَ بِهِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، يَقْظَةً لَا مَنَامًا، بَلْ هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، وَلَا يُمَارِي فِيهِ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ذَرْوًا مِنَ الْعَقْلِ، لِمَ؟ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ رَأَى رُؤْيَا؛ أَكَانَ أَحَدٌ -مَهْمَا كَانَتِ الرُّؤْيَا عَجِيبَةً- يُجَادِلُهُ فِيهَا، يَعْنِي: عِنْدَمَا يَقُولُ: إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا أَنِّي قَدْ أُسْرِيَ بِي مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَعُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، أَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُجَادِلُهُ فِي ذَلِكَ؟ أَوْ تُكَذِّبُهُ فِيهِ!!؟

فَالْإِنْسَانُ يَرَى أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَافَاتِ الْمُتْبَاعِدَةِ، يَرَى ذَلِكَ وَيُخْبِرُ بِهِ وَلَا يُجَادِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُكَذِّبُهُ.

فَلَوْ كَانَتْ رُؤْيَا مَنَامٍ؛ مَا كَذَّبَتْهُ قُرَيْشٌ، وَإِنَّمَا هِيَ تَيَقَّنَتْ أَنَّهُ ﷺ يُخْبِرُ عَنْ أَمْرٍ وَقَعَ لَهُ يَقْظَةً؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: تَذَهَبُ وَتَجِيءُ وَفِرَاشُكَ لَمَّا يَزِلُّ دَافِتًا بَعْدُ!!؟

فَالْإِنْسَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَرَى فِي الرَّؤْيَا أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أْبَعَدَ مِنْ هَذَا - أَيْ: أْبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ -، ثُمَّ يَعُودُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَلَا يَزَالُ دَافِئًا بَعْدُ، وَلَكِنْ هُوَ خَرَجَ مِنْ هَذَا الْفِرَاشِ بِجَسَدِهِ، ثُمَّ أُسْرِيَ بِهِ، فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ إِلَى السَّابِعَةِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ، ثُمَّ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، هَذَا مَا اسْتَعْرَبُوهُ.

وَلِذَا كَانَتْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحَيًّا^(١)، وَلَكِنْ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيثِ مِنْ رُكُوبِهِ، وَنُزُولِهِ، وَرَبْطِهِ، وَصَلَاتِهِ، وَصُعُودِهِ وَهُبُوطِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقْطَعُ لَا مَنَامًا.

وَهَذَا مَوْطِنُ الْإِعْجَازِ فِي الْمَسْأَلَةِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ مَنَامًا؛ فَالْإِنْسَانُ يَرَى فِي الْمَنَامِ أَعْجَبَ الْأُمُورِ، وَلَا يُرَاجِعُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، وَلَكِنْ فِي الْيَقْظَةِ يَحْدُثُ هَذَا، هَذَا هُوَ مَوْطِنُ الْآيَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

هَلْ إِذَا قِيلَ: هَذَا عَبْدٌ. تَنْطَبِقُ عَلَى الرُّوحِ دُونَ الْجَسَدِ أَوْ عَلَى الْجَسَدِ دُونَ الرُّوحِ أَوْ تَنْطَبِقُ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَعًا؟

(١) أخرج ابن أبي عاصم في «السنة»: ٢٠٢/١، رقم (٤٦٣)، والطبري في «جامع البيان»:

١٥١/١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره»: ٢١٠١/٧، والطبراني في «المعجم الكبير»:

٦/١٢، رقم (١٢٣٠٢)، والحاكم في «المستدرک»: ٤٣١/٢ و ٣٩٦/٤، والبيهقي في

«السنن الكبرى»: ١/١٢٢، رقم (٦٠١)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَتْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحَيًّا».

والأثر حسنه الألباني في «ظلال الجنة»: ٢٠٢/١، وقال عبيد بن عمير وقتادة نحوه.

عَلَيْهِمَا مَعًا، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، فَهَذَا شَامِلٌ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣-١٤]، جَعَلَ رُؤْيَاهُ النَّبِيِّ ﷺ لِجِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مُقَابِلًا لِرُؤْيِيهِ إِيَّاهُ فِي الْأَبْطَحِ، وَهِيَ رُؤْيَاهُ عَيْنِ حَقِيقَةٍ لَا مَنَامًا (١).

-عِنْدَمَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَلَكَيَّةِ، لَهُ سِتْمِئَةٌ جَنَاحٍ، وَقَدْ سَدَّ الْأُفُقَ (٢)، فَرَأَاهُ عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَلَكَيَّةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَشَكَّلُ، وَلَكِنْ رَأَاهُ

(١) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣١٣/٦، رَقْمَ (٣٢٣٤ وَ ٣٢٣٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١٥٩/١، رَقْمَ (١٧٧)، عَنِ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِيَنِي وَلَا تُعْجَلِيَنِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُنِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»،... الْحَدِيثُ.

(٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»: ٣١٣/٦، رَقْمَ (٣٢٣٢ وَ ٣٢٣٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ١٥٨/١، رَقْمَ (١٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٣-١٨]، قَالَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتْمِئَةٌ جَنَاحٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أْفُقَ السَّمَاءِ».

وَالْحَدِيثُ بِنَحْوِهِ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَلَكَِيَّةِ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِالْأَبْطَحِ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، كَمَا رَأَاهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى عَلَى هَيْئَتِهِ الْمَلَكَِيَّةِ؛ رَأَاهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، الْأُولَى كَانَتْ يَقْظَةً أَمْ مَنَامًا؟ كَانَتْ يَقْظَةً، فَالثَّانِيَةُ كَمِثْلِهَا - .

وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِرُوحِهِ فِي الْمَنَامِ لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةً، وَلَا كَانَ لِتَكْذِيبِ قُرَيْشٍ بِهَا، وَقَوْلِهِمْ: «كُنَّا نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ شَهْرًا ذَهَابًا وَشَهْرًا إِيَابًا، وَمُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَيْهِ وَأَصْبَحَ فِينَا»، إِلَى آخِرِ تَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ ﷺ.

مَا كَانَ لِذَلِكَ -أَي: مِنْ اعْتِرَاضِهِمْ-، مَا كَانَ مِنْ اعْتِرَاضِهِمْ هَذَا مِنْ مَعْنَى، لَوْ أَنَّهُمْ فَهَمُّوا أَنَّهُ كَانَ مَنَامًا؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَيْهِ يَقْظَةً بِأَبْدَانِنَا فِي شَهْرٍ، نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ -لِيَحْتُوهَا عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي السَّيْرِ- شَهْرًا فِي الذَّهَابِ وَشَهْرًا فِي الْإِيَابِ، وَمُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ بَلِيلٍ وَأَصْبَحَ فِينَا؟!!

لَوْ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ أَوْ فَهَمُّوا هُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَى ذَلِكَ رُؤْيَا مَنَامٍ، هَلْ كَانُوا يَعْتَرِضُونَ عَلَيْهِ بِهَذَا؟!!

هَلْ كَانُوا يُكْذِبُونَهُ؟!!

مَا وَجْهَ التَّكْذِيبِ حِينَئِذٍ؟! (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مِعْرَاجِ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةَ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:
إِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ، ثُمَّ التَّصَدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَمْ يَكُنْ شَاهِدًا مَا تَمَّ بَيْنَ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله وَقَوْمِهِ، فَلَمَّا جَاءَ، تَلَقَّفَهُ الْقَوْمُ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالُوا لَهُ - لِلصَّديقِ -: يُحَدِّثُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَنَحْنُ نَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي شَهْرٍ، وَعَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ وَنَحْنُ نَوْؤِبُ مِنْهُ فِي شَهْرٍ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ، بَلْ حَدَّثَ أَنَّهُ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ، كُلُّ ذَلِكَ وَفِرَاشُهُ دَافِئٌ لَمْ يَبْرُدْ بَعْدُ!!

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.
قَالُوا: لَا، بَلْ قَدْ قَالَ. (*)

قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ صلوات الله عليه وآله.

قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ بِذَلِكَ؟!!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ» - ٢٨-١١-١٩٩٧ م.

قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، فِي خَبَرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا - أَوْ كَمَا قَالَ - (١). (*) .

فَالْعَقْلُ يَعْمَلُ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ فَقَطْ، فَإِذَا ثَبَتَ النَّصُّ؛ فَمَا هُوَ إِلَّا الْإِذْعَانُ وَالتَّسْلِيمُ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الصِّدِّيقِيُّ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَمَّا قَالُوا لَهُ: إِنَّ صَاحِبَكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمَّ عَادَ، وَفِرَاشُهُ لَمْ يَزَلْ دَافِئًا بَعْدُ.

فَوَثَّقَ النَّصَّ، قَالَ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

قَالُوا: لَا، بَلْ قَالَ.

قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ صلوات الله عليه.

(١) أخرج الحاكم في «المستدرک»: ٦٢ / ٣ و ٧٦-٧٧، رقم (٤٤٠٧ و ٤٤٥٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: ٨٥٢ / ٤ و ٨٥٥، رقم (١٤٣٠ و ١٤٣٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة»: ٢٤ / ١، رقم (٦٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: ٣٦٠ / ٢ و ٣٦١، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»: ٥٥ / ٣٠، ترجمة (٣٣٩٨)، من حديث: عائشة، قالت: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلوات الله عليه أَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِذَلِكَ النَّاسَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِهِ وَفَتِنُوا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ»؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ.

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وكذا صححه بشواهده الألباني في «السلسلة الصحيحة»: ٦١٥ / ١، رقم (٣٠٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى: «مَعَارِجُ الْقَبُولِ» - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ

١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣ هـ / ٤-٢-٢٠١٢ م.

إِذْنٍ؛ أَمْرَانِ:

* الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: تَوْثِيقُ النَّصِّ: «أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ»، قَالُوا: «لَا؛ بَلْ قَالَ»، فَلَمَّا رَاجَعُوهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَالَ، قَالَ: «إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ».

* الْأَمْرُ الثَّانِي: إِذَا ثَبَتَ النَّصُّ؛ فَلَيْسَ إِلَّا التَّسْلِيمُ لِلْوَحْيِ الْمَعْصُومِ.

إِنْ كُنْتَ نَاقِلًا فَالصَّحَّةُ، أَوْ مُدْعِيًا فَالدَّلِيلُ، هَذَا قَانُونُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا هُوَ الْقَانُونُ الْعِلْمِيُّ عِنْدَ جَمَاهِيرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلْفًا: «إِنْ كُنْتَ نَاقِلًا فَالصَّحَّةُ، أَوْ مُدْعِيًا فَالدَّلِيلُ»، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ، وَصَاحَ ذَلِكَ بِصِيَاحَةٍ أُخْرَى، فَقَالَ: «الْعِلْمُ نَقْلٌ مُصَدَّقٌ»، فَهَذَا النُّقْلُ الْمُصَدَّقُ هُوَ الشُّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْ تِلْكَ الْمَقُولَةِ، عِلْمٌ مُحَقَّقٌ، دَعْوَى مُحَقَّقَةٌ وَنَقْلٌ مُصَدَّقٌ. فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ ذَلِكَ. (*)

تَوْثِيقُ الْخَبَرِ وَتَوْثِيقُ النَّصِّ هُوَ عَمَلُ الْعَقْلِ.

فَكَمَا أَنَّ لِلْبَصَرِ مَجَالًا لَا يَعْدُوهُ، وَأَنْتَ لَا يَنْفُذُ بَصْرُكَ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ، وَإِنَّمَا بَصْرُكَ يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا تَطْلُقُ لَهُ الرُّؤْيَةُ إِلَى الْمَدَى، وَإِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، فَكَمَا أَنَّ لِلْبَصَرِ مَجَالًا لَا يَعْدُوهُ فَلِلْعَقْلِ مَجَالٌ لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يَتَخَطَّاهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» - الْأَرْبَعَاءُ ١٣ مِنْ صَفَرِ ١٤٢٩ هـ / ٢٠-٢٠٠٨ -

فَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَيَعْمَلُ الْعَقْلَ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ وَتَثْبِيتِ النَّقْلِ.
يَقُولُ: أَنْتُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ.

قَالُوا: لَقَدْ قَالَ.

فَلَمَّا رَاجَعُوهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَالَ بِحَقٍّ.

قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ فَقَدْ صَدَقَ.

وَإِذْنُ؛ يَأْتِي الْعَامِلُ الثَّانِي مِنَ الرَّكِيزَتَيْنِ وَالْعَامِلَيْنِ الْأَسَاسِيَيْنِ فِي حَيَاةِ
الْمُؤْمِنِ الْحَقِّ، قَالُوا: «سَمِعْنَا»؛ بِتَوْثِيقِ النَّصِّ وَتَثْبِيتِ النَّقْلِ، فَإِذَا مَا ثَبَتَ النَّقْلُ،
وَإِذَا مَا تَوَثَّقَ النَّصُّ؛ فَلَيْسَ إِلَّا الطَّاعَةُ وَلَيْسَ إِلَّا التَّسْلِيمُ، «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا».

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضَعُ الْمَنْهَجَ لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ، أَمَّا أَنْ يُثَبَّتَ النَّصُّ، ثُمَّ يَدْخُلُ
الْعَقْلُ لَا فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ، وَإِنَّمَا فِي فَلَسَفَةِ النَّصِّ!! وَفِي تَجَاوُزِ حُدُودِ النَّصِّ!!
وَفِي تَفْجِيرِ النَّصِّ مِنْ دَاخِلٍ كَمَا يَقُولُ الْعُلَمَائِيُّونَ عِنْدَمَا يُرِيدُونَ تَفْجِيرَ اللُّغَةِ مِنَ
الدَّاخِلِ؛ لِأَنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَيُرِيدُونَ هَدْمَ الْقُرْآنِ - وَهِيَ هَاتِ - عَلَى رُؤُوسِ
الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ هَاتِ!

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَفِظَهُ، وَسَيَطَّلُ بِحِفْظِ اللَّهِ مَحْفُوظًا حَتَّى يَرْفَعَهُ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَمَا يَنَامُ النَّاسُ النَّوْمَةَ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُونَ
وَلَيْسَ فِي الصُّدُورِ وَلَا فِي الْقُلُوبِ وَلَا فِي الْعُقُولِ وَلَا فِي الْقَرَاطِيسِ مِنْ آيَةٍ مِنْ
كِتَابِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا تَفْجِيرُ النَّصِّ؛ مِنْ أَجْلِ هَدْمِهِ، وَأَمَّا تَفْجِيرُ النَّصِّ؛ مِنْ أَجْلِ تَفْرِيفِهِ مِنْ
مُحْتَوَاهُ فَلَيْسَ مِنْ عَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ،
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مُفْلِحًا فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الْآخَسِرِينَ.
فَهَذَا دَرَسٌ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ الْعَظِيمِ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ» - ٢٨-١١-١٩٩٧ م.

مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:

تَأْيِيدُ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَنُصْرَتُهُ لَهُمْ وَدِفَاعُهُ عَنْهُمْ

* إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَدْفَعُ عَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَنَابُوا إِلَيْهِ شَرَّ الْأَشْرَارِ وَكَيِّدِ
الْفُجَّارِ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيَكْلُفُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

وَأَخْبِرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَفِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ
خَلْقِهِ بِمَا يَسُرُّهُمْ؛ أَنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ شَرَّ أَعْدَائِهِمْ. (*)

دَافَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ نَبِيِّهِ ﷺ لَمَّا كَذَبَهُ قَوْمُهُ فِيمَا رَأَى بِعَيْنَيْهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ،
فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

مَا كَذَبَ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِيمَا رَأَى بِعَيْنَيْهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، ﴿أَفْتَمْرُونَهُ عَلَى مَا
يَرَى﴾ [النجم: ١٢]: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْمُكْذِبُونَ لِرُسُولِنَا فِيمَا
يَرَاهُ رُؤْيَاهُ حَقٌّ، فَتَجَادِلُونَهُ بِالْبَاطِلِ، حَرِيصِينَ عَلَىٰ إِنْكَارِ مَا يَرَى وَتَكْذِيبِهِ فِيهِ.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزَلَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٣] عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:

١٣ - ١٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الحج: ٣٨].

وَأَوْكَدَ لَكُمْ تَأْكِيدًا بَلِيغًا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي صُورَتِهِ
الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ شَجَرَةٍ نَبَقٍ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،
يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، عِنْدَ سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَى جَنَّةِ الْمَأْوَى، الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا الْمُتَّقُونَ، وَتَأْوِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ.

﴿إِذِغَشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦].

رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ فِي النَّزْلَةِ الْأُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى حِينَ كَانَ
يُجَلِّلُ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى وَيُغَطِّيهَا مِنْ نُورِ الْخَلَاقِ وَالْمَلَائِكَةِ مَا لَا يَعْلَمُ وَصْفَهُ إِلَّا
اللَّهُ تَعَالَى.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

مَا اضْطَرَبَ بَصَرُ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا انْحَرَفَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَفِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ
الْقُدْسِيَّةِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَمَا زَادَ فِي الرُّؤْيَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شَيْئًا.

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

وَأَوْكَدَ تَأْكِيدًا بَلِيغًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ رُؤْيَةً حَسِيَّةً بَصْرِيَّةً
مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. (*)

* وَمِنْ تَأْيِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ أَنْ قُرَيْشًا لَمَّا سَأَلْتَهُ ﷺ عَنْ مَسْرَاهُ، رَفَعَهُ اللَّهُ لَهُ
يَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُوهُ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأَهُمْ بِهِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «التَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [النجم: ١١ - ١٨].

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَيَّ: «مَعَارِجُ الْقُبُولِ» - الْمُحَاضِرَةُ ٧٧ - حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ - السَّبْتُ ١٢ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣٣هـ / ٤-٢-٢٠١٢م.

هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟

مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ،
وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ:

* مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

* وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ، فَالْأَدِلَّةُ أَيْضًا كَثِيرَةٌ:

فَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟

قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهْرِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟».

قَالُوا: لَا.

قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي

رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا».

هَذِهِ رِوَايَةٌ مُسْلِمٍ^(١)، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه بنحوه.

والتَّشْبِيهُ هُنَا لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ، لَا لِلْمَرْتَبَةِ بِالْمَرْتَبَةِ، وَهِيَ رُؤْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ لَيْسَتْ بِمَجْهُولَةٍ، يُرَى سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ إِدْرَاكِ وَلَا إِحَاطَةٍ، إِذْ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ فِي الْقِيَامَةِ الْأَبْصَارُ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ - جَلَّ شَأْنُهُ -.

وَفِي حَدِيثِ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟»

(١) «صحيح مسلم»: ٤/ ٢٢٧٩ و ٢٢٨٠، رقم (٢٩٦٨).

والحديث في «الصحيحين»، من طريق آخر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «إِنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...» الحديث.

أخرجه البخاري في «الصحيح»: ٢/ ٢٩٢ و ٢٩٣، رقم (٨٠٦)، ومسلم في «الصحيح»: ١/ ١٦٣ و ١٦٤، رقم (١٨٢).

(٢) «صحيح البخاري»: ٨/ ٢٤٩ و ٢٥٠، رقم (٤٥٨١)، و«صحيح مسلم»: ١/ ١٦٧،

رقم (١٨٣)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...» الحديث.

قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (١).

«جُمْهُورُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَةَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ فِي ذَلِكَ عُرِفَ ذَلِكَ، كَمَا يَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَصَرَ عَلَى الْجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ». كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (٢).

هَذِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمَعْلُومَةِ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِعَادَتُهَا عَلَيْكُمْ لَا تَكُونُ مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ، وَإِنَّمَا مِنْ بَابِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، لِنَدْلَفَ مِنْهَا إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ.

لَمْ يَرِ الرَّسُولُ ﷺ رَبَّهُ عَيْنًا عَلَى الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ رُؤْيَةً قَلْبِيَّةً، لَا بَعَيْنِي رَأْسِهِ، كَمَا لَمْ يَرِ رَبَّهُ ﷻ فِي الْأَرْضِ - أَي: هُوَ فِي الْأَرْضِ -.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ (٣): «كُلُّ حَدِيثٍ فِيهِ: أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ؛ هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ بَعْضُ النَّزَاعِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هَلْ رَأَى رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟».

(١) «صحيح مسلم»: ١/ ١٦٣، رقم (١٨١)، وفي رواية له زاد: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(٢) «مجموع الفتاوى»: ٦/ ٤٨٦.

(٣) «مجموع الفتاوى»: ٣/ ٣٨٦.

وقال (١): «وَلَمْ يُثْبِتْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَمثَالِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ، بَلِ الثَّابِتُ عَنْهُمْ إِذَا أُطْلِقَ الرَّؤْيِيَّةُ، وَإِذَا تَقَيَّدَتْهَا بِالْفُؤَادِ».

وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟». كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ» (٢).

وَعِنْدَهُ (٣): قَالَ ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ».

قَالَ مَسْرُوقٌ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا أُمَّتَاهُ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟»

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيَنْ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ - هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ -، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ - بَدَلٌ: فَقَدْ كَذَبَ -، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

(١) «مجموع الفتاوى»: ٢ / ٣٣٥.

(٢) «صحيح مسلم»: ١ / ١٦١، رقم (١٧٨)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي رِوَايَةٍ لَهُ: «رَأَيْتُ نُورًا».

(٣) «صحيح مسلم»: ١ / ١٦١ و ١٦٢، رقم (١٧٩)، من حديث: أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لُقْمَانُ: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٧] الْآيَةَ.

وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ. وَهَذَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١).

«لَوْ رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسُهُ بِعَيْنَيْهِ؛ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ أَوْلَى فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَقْتُمُرُونَهُ، عَلَى مَا يَرَى﴾ [النَّجْم: ١٢]، ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النَّجْم: ١٨]، وَكَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الْإِسْرَاء: ١]، فَلَوْ كَانَ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ؛ لَكَانَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ أَوْلَى.

وَقَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَرَى أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ إِلَّا مَا نَازَعَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مِنْ رُؤْيَا نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاصَّةً^(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «رَأَاهُ بِقَلْبِهِ»^(٣) فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالرُّؤْيَا، فَيَكُونُ كَلَامُهُ - يَعْنِي كَلَامَ ابْنِ عَبَّاسٍ - مُطَابِقًا لِكَلَامِ غَيْرِهِ مِمَّنْ نَفَى أَنْ يَكُونَ رَأَاهُ

(١) «صحيح البخاري»: ٦٠٦/٨، رقم (٤٨٥٥)، و«صحيح مسلم»: ١٥٩/١، رقم

(١٧٧)، وقد تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى»: ٥١٠/٦.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ١٥٨/١، رقم (١٧٦)، من حديث: ابنِ عَبَّاسٍ، في قوله:

﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النَّجْم: ١٣]، قَالَ: «رَأَاهُ بِقَلْبِهِ»، وفي رواية له: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ».

بِعَيْنِي رَأْسِهِ، كَقَوْلِ عَائِشَةَ لِمَسْرُوقٍ: «قَفَّ شَعْرُ رَأْسِي مِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ».

بَلِ النَّبِيِّ ﷺ نَفَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟».

فَابْنُ عَبَّاسٍ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ رَأَى بِعَيْنِي رَأْسَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ: رَأَى بِقَلْبِهِ، أَوْ أَطْلَقَ الرُّؤْيَى، فَتَقَيَّدَ بِذَلِكَ الْقَيْدِ.

فَالرُّؤْيَى الْمُثْبَتَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُطْلَقَةً، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُقَيَّدَةً بِالرُّؤْيَى الْقَلْبِيَّةِ، فَيَسْتَقِيمُ هَذَا مَعَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصِرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَلِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ فِي الْعَقِيدَةِ؟!» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ

تَنْبِيهُ مُهِمٌّ:

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ لَمْ يَقَعَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ

فَمِنَ الْبِدْعِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ - عِبَادَ اللَّهِ - مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا أَطْبَقُوا عَلَيْهِ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، يَزْعُمُونَ، بَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ «الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ» قَدْ وَقَعَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَيَجْزِمُونَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَدْ أَخْطَأَ مَنْ جَزَمَ بِهِ كَمَا قَرَّرَ عُلَمَاؤُنَا - عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ -، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَهُ دِينًا مُتَّبَعًا وَسُنَّةً يُؤْمِنُونَهَا يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ، ثُمَّ يَزِرْفُونَ الدُّمُوعَ أَوْ دَمْعَةً أَوْ دَمْعَتَيْنِ عَلَى الْأَقْصَى السَّلِيبِ، ثُمَّ يُنْسَى ذَلِكَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ - وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَإِلَيْهِ الْمُسْتَكَى - (١). (*)

(١) انظر: فتوى رقم (٨٢٠ و ٨٢١) من فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ: ٩٧/٣ و ١٠٣، ورسالة: «حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج» لابن باز طبعت ضمن «مجموع الفتاوى»: ١/١٨٣-١٨٥، والسؤال الحادي عشر من الفتوى رقم (٣٣٢٣) من «فتاوى اللجنة الدائمة»: ٢٤/٣، و«البدع الحولية»: ٢٦٨-٢٨٢/١.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «لَا تَظْلِمُ فِيهِ نَفْسَكَ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَبِ ١٤٣٠ هـ/ ٢٦-٦-٢٠٠٩ م.

الْمِعْرَاجُ وَبَدَلُ الْحُبِّ وَالْوُدِّ

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْأُمَّةَ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّ الْهَلَكَ الْمُؤْمِنَ لَا يُفَرِّقُ
-الَّذِينَ يَسُوقُونَهُ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ- بَيْنَ حَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ.

إِنَّ ذَلِكَ الْمِعْرَاجَ الَّذِي عُرِجَ مِنْهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُنَادِيَ كُلَّ مُسْلِمٍ أَنْ يُطَهِّرَ
قَلْبَهُ، وَأَنْ يَبْذُلَ حُبَّهُ، وَأَنْ يُعْطِيَ وَدَّهُ، وَأَنْ يَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَارْجِعُوا إِلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ،
وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَوَحِّدُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،
فَاطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الصَّفْحَ وَالْمَغْفِرَةَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ،
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «الرَّدُّ عَلَى شُبُهَاتِ الْإِسْرَاءِ» - ٥ / ١١ / ١٩٩٩ م.

رِعَايَةُ الْيَتِيمِ فِي الْإِسْلَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى، وَهُوَ: رِعَايَةُ أَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالشَّفَقَةُ بِهِمْ، وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَثَّ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ. وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ الْيَتِيمَ قَدْ انْكَسَرَ قَلْبُهُ بِفَقْدِ أَبِيهِ، فَهُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْعِنَايَةِ وَالرَّفْقِ.

وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْيَتَامَى يُكُونُ بِحَسَبِ الْحَالِ (*)؛ فَقَدْ يُكُونُ الْيَتِيمُ غَنِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَالٍ، وَلَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّعَقُّلِ؛ حَتَّى لَا يُكُونُ بِفَقْدِ رِقَابَةِ الْأَبِ عُرْضَةً لِإِغْوَاءِ أَهْلِ الشَّرِّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَصِلَ بِهِ الْمَرْءُ ذَلِكَ الْيَتِيمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِحْسَانِ، فِي أَخْلَاقِهِ، وَدِينِهِ، وَتَعْلِيمِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَفِّهِ عَنِ الشُّرُورِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِ السُّوءِ. (* / ٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٦٨ - الْإِثْنِينَ ٩ مِنْ ذِي

الْقَعْدَةِ ١٤٢٨هـ / ١٩-١١-٢٠٠٧م

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «شَرْحُ عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ» - الثَّلَاثَاءُ ٢ مِنْ

ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٣٣هـ / ١٨-٩-٢٠١٢م.

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٢٠].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وَ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]؛ انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ عَنِ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ عَنِ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضِلُ لَهُ الشَّيْءَ مِنْ طَعَامِهِ، فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ.

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾، فَخَالَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ».

وَرَوَى وَكَيْعُ بْنُ الْجَرَّاحِ (١): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيَتِيمِ عِنْدِي عُرَّةً - وَالْعُرَّةُ: الْقَدْرُ، تُرِيدُ أَنْ تَتَجَنَّبَهُ تَجَنُّبَ الْقَدَرِ - (وَفِي

(١) «تفسير ابن كثير»: ١/ ٥٨١ و ٥٨٢، وأخرجه أيضا القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ»: ص ٢٣٩، رقم (٤٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف»: ٦/ ٣٨٣، رقم (٢١٣٨٩)، والطبري في «جامع البيان»: ٢/ ٣٧٣، من طرق: عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيَتِيمِ عِنْدِي عَلَى حِدَةٍ، حَتَّى أَخْلِطَ طَعَامَهُ بِطَعَامِي، وَشَرَابَهُ بِشَرَابِي».

والأثر عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: ١/ ٢٥٦ إلى وكيع وعبد بن حميد.

رَوَايَةٌ: أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيَتِيمِ عِنْدِي عَلَى حِدَةٍ، حَتَّى أَخْلُطَ طَعَامَهُ بِطَعَامِي، وَشَرَابَهُ بِشَرَابِي».

فَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أَي: عَلَى حِدَةٍ.

﴿وَإِنْ مُخَالَطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أَي: وَإِنْ خَلَطْتُمْ طَعَامَكُمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابَكُمْ بِشَرَابِهِمْ؛ فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ أَي: يَعْلَمُ مَنْ قَصَدَهُ وَنَيْتَهُ الْإِصْلَاحُ أَوْ الْإِفْسَادُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْتُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أَي: وَلَوْ شَاءَ لَضَيَّقَ عَلَيْكُمْ وَأَخْرَجَكُمْ، وَلَكِنَّهُ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، وَخَفَّفَ عَنْكُمْ، وَأَبَاحَ لَكُمْ مُخَالَطَتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، بَلْ قَدْ جَوَزَ الْأَكْلَ مِنْهُ لِلْفَقِيرِ بِالْمَعْرُوفِ، إِمَّا بِشَرْطِ ضَمَانِ الْبَدَلِ لِمَنْ أَيْسَرَ، أَوْ مَجَانًا. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ فِي السَّعْيِ عَلَى الْيَتِيمِ أَجْرًا، وَفِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَجْرًا، لَا سِيَّمَا مَنْ وُجِدَ يَتِيمًا فِي بَيْتِهِ؛ سَوَاءً لِقْرَابَتِهِ أَوْ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَعَلَّمَهُ، وَأَدَّبَهُ حَتَّى بَلَغَ الْحِنْثَ، فَكَمْ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَى «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ» - الْأَحَدَ ٢٠ مِنْ صَفَرٍ

وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»،
وَجَمَعَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى^(١)؛ يَعْنِي أَنَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ
أَعْظَمِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ، أَنْ يُحْشَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِسَبَبِ عَمَلٍ صَالِحٍ
قَدَّمَهُ فِي الدُّنْيَا. (*)

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»^(٣)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا»، وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ
وَالْوُسْطَى. (*) (٢).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥): «حُقَّ عَلَيَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛
لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ».

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: ٢٢٨٧/٤، رقم (٢٩٨٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلْفِظٍ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ
وَالْوُسْطَى.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابُ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا لَهُ (ص ٧٠٢ -
٧٠٣).

(٣) «صحيح البخاري»: ٤٣٩/٩، رقم (٥٣٠١)، وفي: ٤٣٦/١٠، رقم (٦٠٠٥).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابُ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْهِ
(ص ٧١٠).

(٥) شرح «صحيح البخاري» لابن بطال: ٢١٧/٩، ط ٢، (الرياض: مكتبة الرشد،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، وعنه نقل ابن حجر في «فتح الباري»: ٤٣٦/١٠، ط ١، (القاهرة:

المكتبة السلفية، ١٣٨٠هـ).

فَكَفَالَةُ الْيَتِيمِ جَزَاؤُهَا عَظِيمٌ جِدًّا؛ فَلْيَحْرِصِ الْإِنْسَانُ عَلَى أَنْ يُصِيبَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ. (*)

* السَّاعِي عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ - وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيْتَامُ - كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه وآله: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢).

إِنَّ السَّعْيَ عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ، وَالْقِيَامَ عَلَى أُمُورِهِمْ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ.

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ يَتَحَصَّلُ الْمَرْءُ مِنْهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَلَّا يَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا.

فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَوْصِيلِ الْخَيْرَاتِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْإِيْتَامِ وَالْمُعْوِزِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْقُرْبِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» بَابُ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْهِ (ص ٧٠٦).

(٢) «الأدب المفرد» للبخاري: ص ٤٤، رقم (١٣١)، ط ١، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٧٥هـ)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا فِي «الصَّحِيحِ»: ٤٩٧/٩، رقم (٥٣٥٣)، وفي: ٤٣٧/١٠، رقم (٦٠٠٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»: ٢٢٨٦/٤، رقم (٢٩٨٢).

وَالطَّاعَاتِ، حَتَّى جَعَلَهُ ﷺ كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ. (* / ٢).

عَبَدَ اللَّهُ! كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ.. (*).

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَاب: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا (ص ٦٩٤-٦٩٩).

(* / ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَاب: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص ٧١٧).

الْفَهْرِسُ

- ٣ مُقَدِّمَةٌ
- ٤ تَأْيِيدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْبِيَاءَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ
- ١١ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ١٩ * دُرُوسٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ١٩ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: أَنَّ أَشْرَفَ مَقَامٍ وَأَعْلَاهُ مَقَامُ الْعُبُودِيَّةِ
- ٢٥ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ وَالْمِنْحَةُ بَعْدَ الْمِحْنَةِ
- ٣٤ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: تَعَلَّمُ مِنْهَجِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ
- ٣٧ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: أُخُوَّةُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ
- ٤٠ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: عِظْمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِ وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهَا ...
- مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: بَيَانُ مَكَانَةِ الْقُدْسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي
- ٤٣ الْإِسْلَامِ
- ٤٥ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ.. عِقَابُهُمْ وَخَطَرُهُمْ

- ٥٢ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: أَنَّ مَبْنَى الشَّرِيعَةِ عَلَى التَّسْيِيرِ
- ٥٥ مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: أَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ لَا حَدَّ لَهَا
- مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: إِعْمَالُ الْعَقْلِ فِي تَوْثِيقِ النَّصِّ، ثُمَّ التَّصَدِيقُ
وَالتَّسْلِيمُ.....
- ٦١
- مِنْ دُرُوسِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ: تَأْيِيدُ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَنُصْرَتُهُ لَهُمْ
وَدِفَاعُهُ عَنْهُمْ.....
- ٦٦
- ٦٩ هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ؟
- ٧٥ تَنْبِيهِ مُهْمٌ: الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ لَمْ يَقَعَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ
- ٧٦ الْمِعْرَاجُ وَبَدَلُ الْحَبِّ وَالْوُدِّ
- ٧٧ * رِعَايَةُ الْيَتِيمِ فِي الْإِسْلَامِ
- ٨٣ الْفَهْرُسُ

